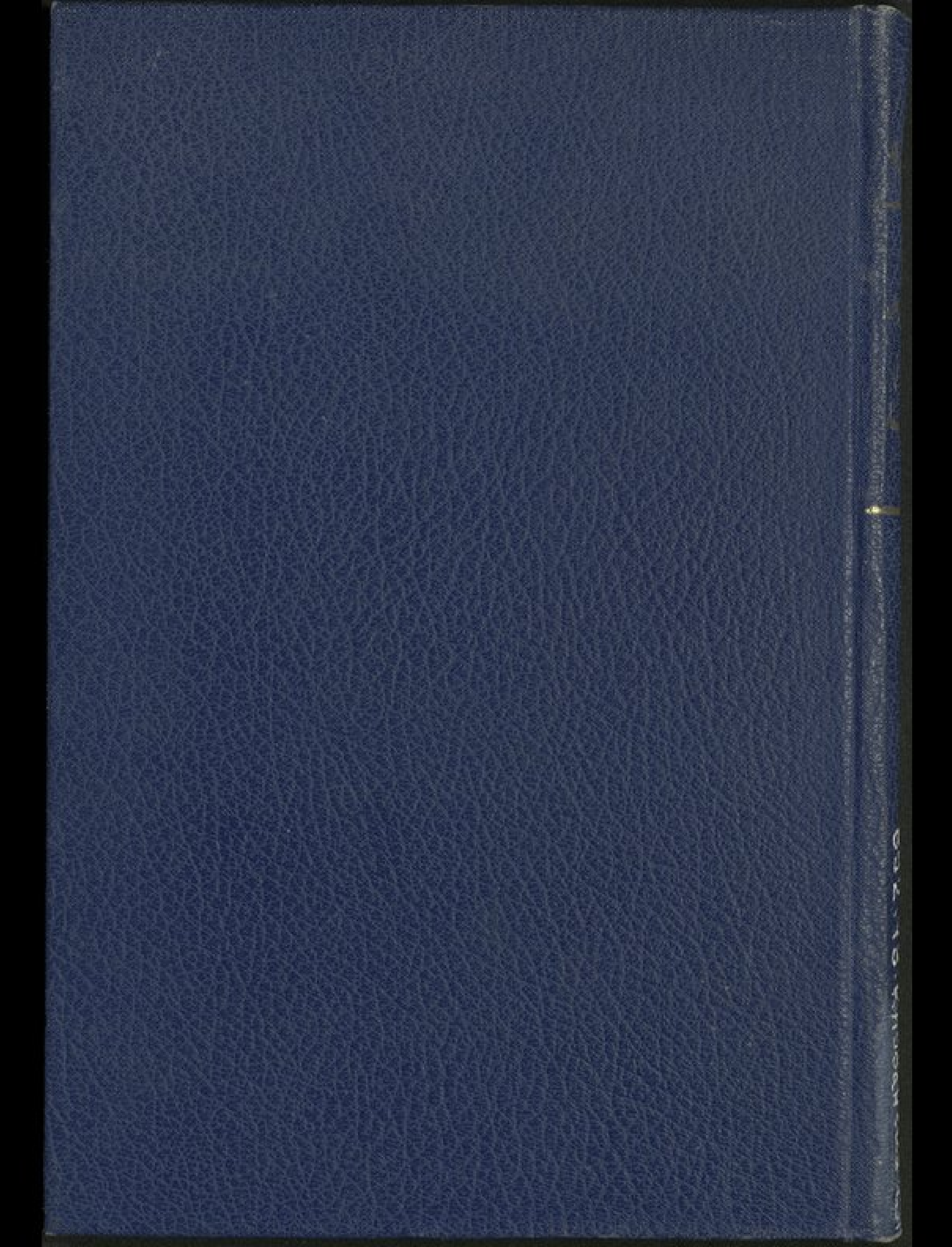
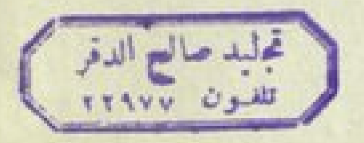
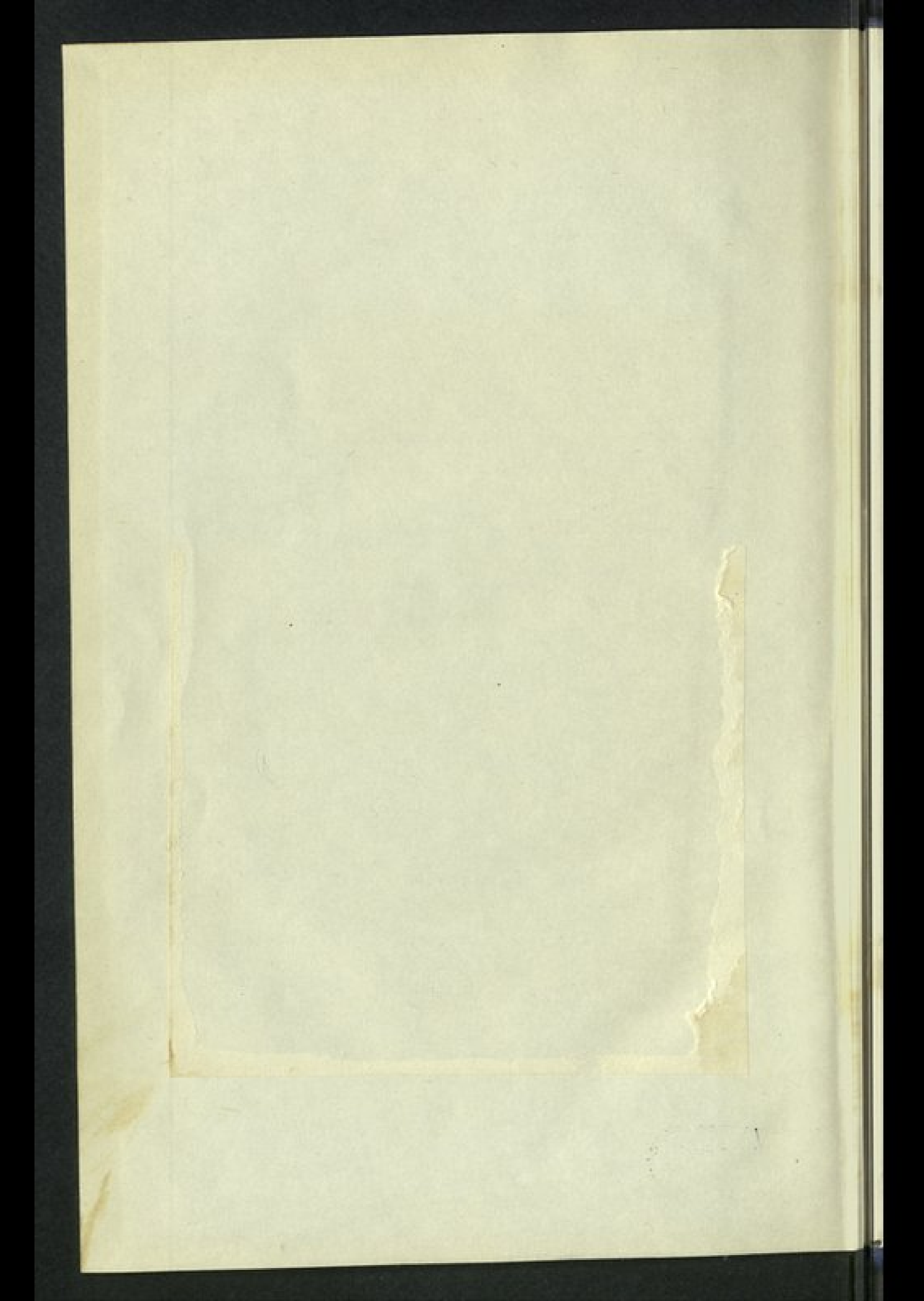
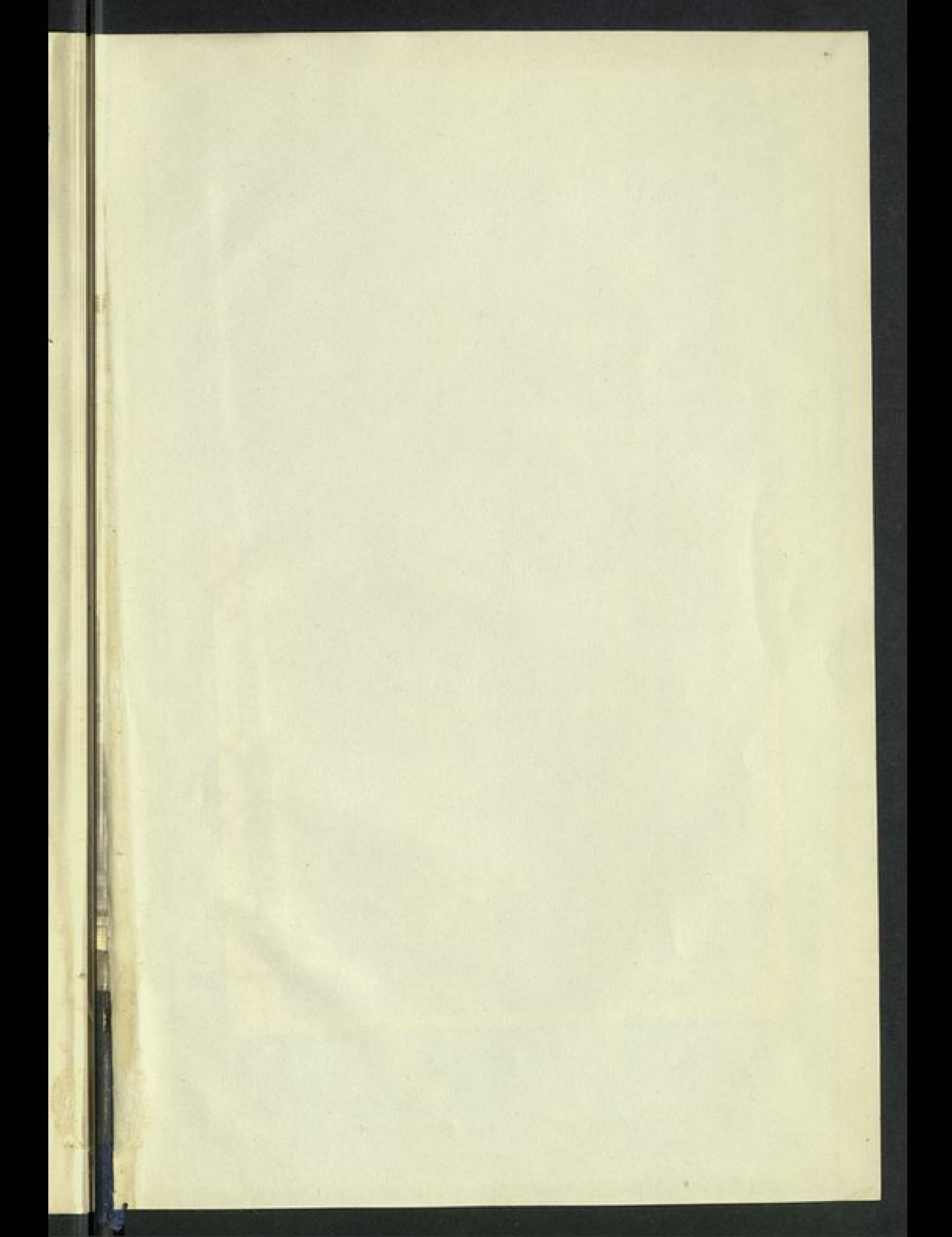








الأرض في السماء

قصائد ادبية اخلاقية تاريخية

الجزء الاول

ويليهِ نطاق الزهرة

اسطورة حكَمية

نظم

امين ظاهر خير الله

طبعا بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٩

باسم الله

الشعرُ صناعةٌ قوامها شيئان لفظٌ يعذبُ من الفم اندفاعهُ ويطيبُ في الأُذن سماعهُ ومعنًى يُستجادُ من الدماغ ابتكارهُ ويُستحسنُ في القلب انحدارهُ والغرضُ منها ان يوضح فيها المتكلّمُ غايتهُ ويُصيبَ من المقصود لُبانتهُ

وكلُّ صناعةٍ تتناوبها أطوارٌ فيكونُ لشأنها ارتفاعٌ وانحدار فتجودُ اذا أُريد الإتقان . وعُمل بمقتضى الوجدان . ونُصر الحقُّ وخُذل البهتان . وكان للإحسان مجالٌ حسان . وتهونُ اذا التبس الحقُّ بالمحال . وبات الصوابُ في عقال . وتنحّى الحكماء عن المجال . فتولّى مكانتهم الجُهّال . وأُريد الرزقُ سواءٌ جاء من حرامٍ او حلال

وقد لقيت صناعةُ الشعرِ العربيّ من إقبالِ السُّوق ما جعلها اعلى من العيُّوق (١) فأتت بالبدائع الروائع والآيات النواصع فتمشّت الحكمةُ في المناحي والرغائب كتمشّي الحُميّا (٢) في مفاصل الشارب . وذهبت الأمثال الشعريةُ كلَّ مذهبٍ في رأيٍ يسلّ غرارهُ (٣) وعملٍ يرادُ اختيارهُ وتوسّلٍ تنفتحُ لهُ الصدور وتفيضُ لهُ مواردُ السرور . وأُصيبت بكسادٍ فضّل السِخابَ (٤) على دُرّها وأعزّ العقوقَ على برّها . وكادَ يقضي على أمرها اذ أمست خاليةً

(١) العيوق نجمٌ احمر مضيءٌ في طرف المجرّة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها

(٢) الحميّا من الخمر سوْرتها وشدتها او اسكارها او اخذها بالراس وتطلق على الخمر من باب تسمية الشيء باسم فعله (٣) الغرار حد السيف (٤) هي قلادة من مسك وقرنفل ومحلب ليس فيها لؤلؤ ولا جوهر تلبسها صبيان العرب

من ذويها منفية عن مغانيها وكلُّ ذي جهلٍ يدَّعيها على انها كانت كالبحر الكبير تحمل البارجة الضخمة وتسيّر القارب الصغير لأنها في النفس بالفطرة فاهمالها لا يزيلها وإجادتها لا تستنفد مواردها وهي تاريخ كل عصر وما كان عليه من رقة الديباجة في المقال وجودة الفكرة في الأميال والأعمال وغزارة المادة في التدبير وسموّ الموضوع وحسن الاختيار

وبدء امر الشعر أنّ الإنسان رأى في تناسق الأصوات وتناسبها تأثيرًا على النفس يُعرَف من الطرب بالنشيد الاعجمي اللسان وإن لم يُفهم كما قال ابو تمام

ولم أفهمْ معانيها ولكنْ   شجتْ قلبي فهيَّجني شجاها

فرغب في ان يختار لذلك التناسق نغماً دعاه لحناً فتألفت الالحان ووُجد للألحان اتصالاتٌ فكانت الاوزان وهي الاوزان الشعريةُ التي انكشف أمرها للخليل ابن احمد الفراهيدي فوضع فيها علم العروض المشهور

ثم تنخّل (1) لتلك الأوزان الألفاظ المُهلهلة (2) والقوالب المفضّلة وشرع بها يخاطب ربه مستغفراً عما أساء ومستمداً من لدنه سحائب النعماء ومعترفاً بما ظلّله من وارف الآلاء فمن ذلك قول الإمام عليّ ابن ابي طالب

لبيك لبيك أنت مولاهُ   فارحم عبيداً إليك ملجاهُ
يا ذا المعالي اليك معتمدي   طوبى لمن كنت أنت مولاهُ
طوبى لمن كان نادماً أرقاً (3)   يشكو الى ذي الجلال بلواهُ
وما به علةٌ ولا سقمٌ   أكثر من حبه لمولاهُ
اذا خلا في الظلام مبتهلاً   اجابه الله ثم لباهُ

(1) اختار (2) الرقيقة (3) ساهراً

سألتَ عبدي وأنتَ في كنفي | وكلُّ ما قلتَ قد سمعناهُ
صوتك تشتاقهُ ملائكتي | فذنبك الآنَ قد غفرناهُ
في جنةِ الخلدِ ما تمناهُ | طُوباهُ طُوباهُ ثمَّ طُوباهُ
سلني بلا خشيةٍ ولا رَهَبٍ | ولا تخفْ إنَّني انا اللهُ

والقول بأنَّ الشعرَ جاء أولاً خطاباً للهِ تعالى دليلهُ أنَّ الدينَ مغروسٌ في كل قلبٍ فليس من قوم بلا دين . وفروضُ الدينِ مقدَّمةٌ على كلِ محبوبٍ حتى فتكَ الآباء بابنائهم حباً بها وكم أبٍ ضحى فتاهُ وفتاتهُ في الفرض الدينيِّ وكم اب وأم ماتا عن بنين صغار وهما يظهران ابتهاجاً كمن أُنيل افضلَ مأربٍ وذلك لموتهما في سبيل الدين فيحسبان ذلك زُلفى الى الربِّ ومن جاد ببنيهِ وبناتهِ وبحياتهِ أفلا يكونُ خطابُ اللهِ أوَّلَ ما يتوجهُ اليهِ فكرُهُ ويمتلئ من الثناء عليهِ صدرُهُ

ثم ان الشيخَ نظرَ ابناءهُ ينمُونَ وهم في بُرودِ الشباب يمرحون والشَّبابُ مطيَّةُ العُنفوان والعنفوانُ مهواةُ العصيان وشعرَ بيوم حمامهِ الداني فاندفع ببقيةِ قوَّتهِ ينشئ لبنيهِ بياناً عما اكسبتهُ اياهُ السنون من الخبرةِ في ما يحفظ الكرامةَ ويصونُ الوجاهةَ ويَضُمُّ الكلمةَ ويؤمِنُ من العثارِ كما قال عبدة ابن الطبيب

أبَنيَّ اني قد كبِرتُ ورابني | بصري وفيَّ لمُصلِحٍ مُستمتَعُ
فلئنْ هلكتُ لقد بنيتُ مساعياً | تبقى لكم منها مآثرُ أربعُ
ذِكرٌ اذا ذُكِرَ الكرامُ يزينكم | ووِراثةُ الحَسَبِ المُقدَّم تنفعُ
ومقامُ أيامٍ لهنَّ فضيلةٌ | عند الحفيظةِ والمجامعُ تجمعُ
ولُهى من الكسبِ الذي يُغنيكم | يوماً اذا احتضر النفوسَ المَطمعُ
ونصيحةٌ في الصدرِ داخلةٌ لكم | ما دمتُ أُبصرُ في الرجالِ وأسمعُ

أُوصيكُمُ بتُقى الإلهِ فإنَّهُ ... يُعطِي الرغائِبَ مَن يَشاءُ ويمنَعُ

وبِبِرِّ والدِكم وطاعةِ أمرِهِ ... إنَّ الأبرَّ من البنينَ الأطوعُ

إنَّ الكبيرَ إذا عصاهُ أهلُهُ ... ضاقت يداهُ بأمرِهِ ما يصنعُ

ودعوا الضغينةَ لا تكنْ من شأنِكم ... إنَّ الضغائنَ للقرابةِ توضَعُ

واعصُوا الذي يُزجي النمائمَ بينكم ... متنصِّحاً ذاكَ السِمامُ المُنقَعُ

يُزجي عقاربَهُ ليبعثَ بينكُمْ ... حرباً كما بعثَ العروقَ الأخدعُ

لا تأمنوا قوماً يَشِبُّ صبيُّهُمْ ... بينَ القوابلِ بالعداوةِ يُنشَعُ (١)

قومٌ اذا دمسَ الظلامُ عليهمِ ... حدجوا قنافذَ بالنميمةِ تمزعُ (٢)

انَّ الذين ترونَهم اخوانكم ... يشفي غليلَ صدورِهم أن تُصرَعوا

ولقد علمتُ بانَ قصري حفرةٌ ... غبراءُ يحملني اليها شرجعُ (٣)

فبكى بناتي شجوَهنَّ وزوجتي ... والاقربون اليَّ ثمَّ تصدَّعوا

وتُرِكتُ في غبراءَ يُكرَهُ وِردُها ... تُسفي عليَّ الريحُ حينَ أُودَّعُ

ومن هذا القبيل قول عبد قيس ابن خفاف من بني عمرو ابن حنظلة من البراجم وهو

أَجُبَيلُ انَّ اباكَ كاربُ قومهِ ... فاذا دُعيتَ الى العظائمِ فاعجلِ

وصيكَ ايصاءَ امرئٍ لكَ ناصحٍ ... طَبِنٍ بريبِ الدهرِ غيرِ مغفَّلِ

اللهَ فاتَّقِهِ وأوفِ بنذرِهِ ... واذا حلفتَ مُمارياً فتحلَّلِ

والضيفَ أكرِمْهُ فانَّ مبيتَهُ ... حقٌّ ولا تكُ لُعنةً للنُّزَّلِ

واعلمْ بأنَّ الضيفَ مخبرُ أهلِهِ ... بمبيتِ ليلتِهِ وإنْ لم يُسألِ

---

(١) النشوع السعوط (٢) دمس اشتدت ظلمته . وحدجوا رحلوا . والمزع السير السريع (٣) خشب يشد بعضه الى بعض كالسرير يُحمَل عليه الميت

ودَع القوارصَ للصديق وغيرِهِ | كي لا يزوك من اللئام العزَّلِ
وصِلِ المواصلَ ماصفالك وُدُّهُ | واحذر حِبال الخائن المتبدِّلِ
واترُك محلَّ السوء لا تحلُلْ بهِ | واذا نبا بكَ منزلٌ فتحوَّلِ
دارُ الهوانِ لمن رآها دارَهُ | افراحلٌ عنها كمن لم يرحلِ
واذا هممتَ بأمرِ شرٍّ فاتَّئِدْ | واذا هممتَ بأمرِ خيرٍ فافعلِ
واذا اتتك من العدوّ قوارصٌ | فاقرُصْ كذاك ولاتقل لم أفعلِ
واذا افتقرتَ فلا تكن متخشعاً | ترجو الفواضل عند غيرِ المُفضِلِ
واذا لقيتَ القوم فاضربْ فيهم | حتى يروك طلاءَ اجربَ مهملِ
واستغنِ ما اغناك ربُّك بالغنى | واذا تصبْكَ خصاصةٌ فتجملِ
واستأنِ حلمك في امورِك كلها | واذا عزمتَ على الهوى فتوكلِ
واذا تشاجرَ في فؤادِك مرةً | امرانِ فاعمدْ للأعفّ الأجملِ
واذا لقيتَ الباهشين الى الندى | غُبراً اكفُّهم بقاعٍ مُمْحِلِ
فأعِنهم وأبشر بما بشِروا بهِ | واذا هُمُ نزلوا بضنكٍ فانزلِ

ورأى البعض أن يوضح عن نفسهِ ما هو مشربهُ ليأمنَ اليهِ الصديقُ اذا وَعدَ او ليرهبَهُ الخصمُ ان أوعدَ فكان من هذا الباب قولُ ابي الاسود الدؤلي

واذا وعدتُ الوعدَ كنتُ كغارمٍ | ديناً أقِرُّ بهِ وأُحضِرُ كاتبا
حتّى أنفِذَهُ كما قد قلتُهُ | وكفى عليَّ بهِ لنفسيَ طالبا
واذا منعتُ منعتُ منعاً بيّناً | وأرحتُ من طولِ العناء الراغبا

ومرَّ على آخر شؤُونٌ كانت من غرائبِ الوقائعِ فأحبَّ تدوينها لِعظة فيها بالغةٍ اعماقَ الضمائرِ او لحفظِ مكرُمةٍ تُعَدُّ من نفائس الذخائرِ فأجالَ بصيرتَهُ في ما هوَ أدعى الى رسوخِ العِظة وتأييدِ المكرُمة فرآهُ التأليفَ الشعريَّ لأنَّ

المَفادَ بهِ أجمعُ وتراكيبهُ ذاتُ ارتباطاتٍ كارتباطِ النتائجِ بالمقدّمات فيكونُ البيتُ الواحدُ أساساً للآخرِ ويستلزِمهُ كما تستلزِمُ حلقةُ السلسلةِ أُختها وبذلك يهونُ استظهارُ المؤلَّفِ غيباً ويتبيَّنُ موضعُ النسيانِ من تفصيلهِ ان وقعَ ذلك فيُطلَبُ المنسيُّ ويُضمُّ الى اخيهِ المذكور كما جاء في قول عمرو ابن عدي ابن نصر اللخمي ابن اخت جذيمة ابن مالك ابن فهم الازدي الملقب بالوضّاح في ذكر ما كان لخالهِ وللزباء وهذا نصهُ

ألَا يا ايها الغرُّ المرجّي	ألمْ تسمعْ بخطبِ ألاوّلينا
دعا بالبقّةِ[1] الوزراء يوماً	جذيمةُ يستشيرُ الناصحينا
فطاوعَ أمرَهمْ وعصى قصيراً	وكان يقولُ لو نفعَ اليقينا
لقد خطبَ التي غدرت وخانت	وهنَّ ذواتُ غدرٍ يزدهينا
فخطّت في صحيفتها اليهِ	ليملكَ «أمرها» او أن يدينا[2]
ففاجأها وقد جمعت جموعاً	على أبوابِ حصنٍ مصلتينا[3]
وحكّمتِ الحديدَ براهشيهِ	فألفى قولها كذباً ومينا[4]
وخبّرتِ العصا الانباء عنهُ	ولم أرَ مثلَ فارسِها هجينا[5]
فبات نساؤهُ ثكلاً عليه	معَ الأبناء يعلِنَّ الأنينا
فولَّى أنفهُ الموسى قصيرٌ	ليخدعَها وكانَ بهِ ضنينا[6]

(١) مدينة (٢) يملك امرها اي يتزوجها . او ان يدين اي يملك وتحرير الخبر انها دعته اما الى الزواج بها او الى الملك في مقر ابائها زاعمة انها عاجزة عن تولي المملكة (٣) اي شاهري السيوف (٤) الراهشان عرقان في باطن الذراع والمين الكذب (٥) الهجين من وُلد من أمةٍ والعصا اسم فرس (٦) بخيلا

مُخاتلةَ ابنةِ الريَّانِ مكرًا فأذهل عقلَها الوافي الرَّصينا[١]

أتتها العيرُ تحملُ ما دهاها رجالاً في المُسوحِ مسوَّمينا[٢]

ففاجأها على الأنفاقِ عمرٌو بشكَّتِهِ ولم تخشَ الكمينا[٣]

فجلَّلها عتيقَ الحدِّ عضبًا يشقُّ بهِ الحواجبَ والجبينا[٤]

ثم اتَّسعت صناعةُ الشعرِ كما تتَّسعُ كلُّ صناعةٍ تتولَّاها ايدي الحذَّاق وتصادِفُ سلعُها أروجَ الأسواقِ فجُعلَ منها الغزَلُ الذي يُطربُ السمعَ ويهشُّ لهُ القلبُ وتتمثَّلُ بهِ العواطفُ فجاء منهُ اطراء المظهرِ الخارجيِّ ومنهُ قول بكر ابن النطَّاح

بيضاء تسحبُ من قيامٍ فرعَها وتغيبُ فيهِ وهوَ وحفٌ أسحمُ[٥]

فكأنَّها فيهِ نهارٌ ساطعٌ وكأنَّهُ ليلٌ عليها مُظلمُ

وقول الآخر

بيضاء لو نظرت يومًا الى حجرٍ لأثَّرت نظرًا في ذلكَ الحجرِ

يزدادُ توريدُ خدَّيها اذا نظرت كما يُزادُ نباتُ الأرضِ بالمطرِ

فالخمرُ ريقتُها والغصنُ قامتُها ولون طلعتها أبهى من القمرِ

وقد تشعَّبَ الى وصفِ شعرٍ وامتداحِ وجهٍ وإعجابٍ بقامةٍ واستلطافِ خصرٍ ممَّا يطولُ بيانُهُ

وجاء منهُ بيانُ الشعورِ الروحيِّ من حُسنِ تدلُّلٍ ولُطفِ ملالٍ وتنكُّرِ صدٍّ وشكوى من تعذيبِ نأيٍ ومن هذا القبيل قول امريء القيس الكندي

---

(١) ابنة الريان هي الزباء التي مكرت بجذيمة (٢) العير الابل تحمل الميرة والمسوح الثياب من شعر . والمسوَّمين اي مغيرين (٣) النفق سرَب في الارض له مخرج الى مكان . الشكة السلاح (٤) العضب السيف القاطع (٥) الوحف الكثير والاسحم الاسود

أفاطمَ مهلاً بعدَ هذا التدلُّلِ وان كُنتِ قد ازمعتِ هجري فأجملي
أغرَّكِ مني أنَّ حبكِ قاتلي وأنكِ مهما تأمري القلبَ يفعلِ
وما ذرفت عيناكِ الاَّ لتضربي بسهميكِ في أعشارِ قلبٍ مقتَّلِ (١)

وجاء منهُ ما له علاقةٌ بالحبيب كذِكرِ سوالفِ الأيامِ والمساكنِ والوُشاةِ وامثالِ ذلك ومن هذا القبيل قولُ الصمةَ ابن عبدالله ابن طفيل القائل

حننتَ الى ريّا ونفسُكَ باعدت مزارَكَ من ريّا وشعباكما معا
فما حسنٌ ان تأتيَ الامرَ طائعاً وتجزعَ ان داعي الصبابةِ أسمعا
قفا ودِّعا نجداً ومن حلَّ بالحِمى وقلَّ لنجدٍ عندنا أن يودَّعا
بنفسي تلكَ الارضُ ما أطيبَ الرُّبا وما احسنَ المُصطافَ والمتربَّعا
وليست عشياتُ الحمى برواجعٍ عليكَ ولكن خلِّ عينيكَ تدمعا
ولما رأيتُ البِشرَ أعرضَ دوننا وحالت بناتُ الشوقِ يحننَّ نُزَّعا (٢)
بكت عينيَ اليُسرى فلما زجرتُها عن الجهلِ بعد العلمِ أسبلتا معا
تلفّتُّ نحوَ الحيِّ حتى وجدتني وجعتُ من الإصغاءِ ليتاً وأخدعا (٣)
واذكرُ أيامَ الحِمى ثم أنثني على كبدي من خشيةٍ أن تصدَّعا

واذا كان الشاعرُ تلطَّفَ في النسيب بمن يهواهُ وتظرَّفَ بكلِ ما اتَّصل بهذا الموضوع فقد شعرَ أنَّ الثباتَ على الشدةِ واقتحامَ الاهوالِ وخوضَ فجاجِ الأرضِ شؤونٌ متى جاءتِ الكلمةُ فيها على وجهٍ ينهضُ الهمةَ ويشددُ العزيمةَ ويجمعُ روحَ البأسِ كانت النتيجةُ احتقارَ الموتِ ومقارعةَ المنيةِ والاعتصامَ بالجلدِ فأرسلَ الاقوالَ في هذا البابِ على وجوهٍ متعددةٍ تارةً

(١) اراد بالسهمين انفجار الدمع من المقلتين معاً (٢) البشر جبل بعينه
(٣) الليت صفحة العنق · والاخدع عرق في العنق في موضع الحجامة وهو شعبة من الوريد

فاخراً بقوةِ ذراعيه وثباتِ جنانه كقول سعد ابن ناشب

سأغسلُ عني العارَ بالسيفِ جالباً | عليَّ قضاء اللهِ ما كان جالبا
وأذهلُ عن داري وأجعلُ هدمَها | لعرضيَ من باقي المذمةِ حاجبا
ويصغرُ في عيني تلادي اذا انثنت | يميني بإدراكِ الذي كنتُ طالبا
فإن تهدِموا بالغدرِ داري فإنها | تراثُ كريمٍ لا يبالي العواقبا
اخي غمراتٍ لا يريدُ على الذي | يهمُّ بهِ من مُقطعِ الامرِ صاحبا
اذا همَّ لم تُردَعْ عزيمةُ همِّهِ | ولم يأتِ ما يأتي من الأمرِ هائبا
فيا لَرِزامٍ رشِّحوا بي مقدَّماً | الى الموتِ خوَّاضاً اليه الكتائبا
اذا همَّ ألقى بين عينيهِ عزمهُ | ونكَّبَ عن ذكرِ العواقبِ جانبا
ولم يستشرْ في رأيهِ غيرَ نفسهِ | ولم يرضَ الاَّ قائمَ السيفِ صاحبا

وقول بلعاء ابن قيس الكناني

وفارسٍ في غمارِ الموتِ منغمسٍ | اذا تألَّى على مكروهةٍ صدقا
غشيتهُ وهو في جأواء[1] باسلةٍ | عضباً اصاب سواءَ الرأسِ فانفلقا
بضربةٍ لم تكن مني مخالسةً | ولا تعجَّلتُها جبناً ولا فرَقا

وتارة ينوّهُ بذكرِ الآباء والاجداد وما لهم من الشرفِ الرفيعِ العِماد والنسبِ الأصيل الثابتِ الإسناد. وانه يتعقبُ ذاك البناء بما يزيدهُ سناءً كقول عامر ابن الطفيل العامري

واني وان كنتُ ابنَ سيدِ عامرٍ | وفارسها المشهورَ في كلِّ موكبِ
فما سوَّدتني عامرٌ عن كلالةٍ | ابى اللهُ ان أسمو بأمٍّ ولا أبِ
ولكنني أحمي حماها وأتَّقي | أذاها وأرمي من رماها بمنكبِ[2]

(١) اي كتيبة كبيرة (٢) المنكب العضد ومراده بقوةٍ من باب تسمية الشيء باسم آلتهِ والتنكير للتهويل

وطوراً يفخر بما طُبع عليه من الكرم المحض والفضل الجم وبشاشة الوجه وجودة الخُلق ورعاية الحقوق وحمل المغارم لرتق حادث وصد كارث ومن ذلك قول حاتم الطائي

اماويّ قد طال التجنب والهجر · وقد عذرتني في طلابكم العذر
اماويّ إن المال غادٍ ورائحٌ · ويبقى من المال الأحاديث والذكر
اماويّ اني لا اقول لسائل · اذا جاء يوماً حلّ في مالنا نزر
اماويّ اما مانعٌ فمبينٌ · واما عطاء لا ينهنهه الزجر
اماويّ ما يغني الثراء عن الفتى · اذا حشرجت نفسٌ وضاق بها الصدر
اذا انا دلاّني الذين أحبهم · لملحودةٍ زلجٍ جوانبها غبر(1)
وراحوا عجالاً ينفضون أكفهم · يقولون قد دلّى انامِلَنا الحفر(2)
اماوي ان يُصبح صداي بقفرةٍ · من الأرض لا ماء هناك ولا خمر
ترَيْ أن ما اهلكت لم يك ضرّني · وأن يدي مما بخلت به صفر
اماويّ إني ربّ واحد امه · أجرتُ فلا قتلٌ عليه ولا أسر
وقد علم الأقوام لو أن حاتماً · اراد ثراء المال كان له وفر
وانيَ لا آلو بمالٍ صنيعةً · فأوّله زادٌ وآخره ذخر
يُفكّ به العاني ويؤكل طيباً · وما ان تعرّيه القداح ولا الخمر
ولا أظلم ابن العم ان كان إخوتي · شهوداً وقد أودى بأخوته الدهر(3)
غنينا زماناً بالتصعلك والغنى · كما الدهر في أيامه العسر واليسر
لبسنا صروف الدهر ليناً وغلظةً · وكلاً سقاناه بكأسيهما الدهر

(1) الزلج زلق والملحودة القبر (2) العجال جمع عجلان (3) اودى به الدهر اهلكه

فما زادنا بأواً على ذي قرابةٍ غنانا ولا ازرى بأحسابنا الفقر (١)

فقد ما عصيت الغانيات وسلطت على مصطفى مالي أناملي العشر

وطوراً بما فيه من ثِقَلِ الحصاة واتباعِ المبدإ المجيد لا يحيدُ عنهُ ولا يفرُّ منهُ فكيفما تصوَّرَ كان مثالَ الرَّصانة ورجلَ الفضلِ والمكانة كما قال عنترة العبسي

ولقد شربتُ من المُدامة بعدما ركدَ الهواجرُ بالمشوفِ المُعلَمِ (٢)

واذا شربتُ فانني مستهلكٌ مالي وعرضي وافرٌ لم يُكلَمِ

واذا صحوتُ فما اقصِّرُ عن ندى وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي

وحيناً يفتخرُ بما اختطَّهُ لنفسهِ من النزاهة والعفاف والدَّعةِ والإنصاف . وأنَّ أدبَ نفسهِ هو موردُ أنسه ومجدُ أمسهِ وشرفُ يومهِ وكرامتهُ بين قومهِ وسميرهُ في رمسهِ كقول حاتم طي

اذا ما بتُّ اشربُ فوقَ ريٍّ لسكرٍ في الشرابِ فلا رُويتُ

اذا ما بتُّ اختلُ عرسَ جاري ليخفيني الظلامُ فلا خفيتُ

أأفضحُ جارتي واخونُ جاري معاذَ اللهِ أفعلُ ما حييتُ

وحيناً بما هو عامٌّ بينَ العشيرةِ من اتحاد الرَّأي واستشعارِ الألفةِ وتضامِّ العصبة وأخذِ العهدِ على النفسِ ان لا تميلَ عن المبدإ القويمِ ولا تعوجَّ على منهجٍ ذميمٍ ومن ذلك قول السموأل ابن عادياء

وانا لقومٌ لا نرى القتل سبَّةً اذا ما رأتهُ عامرٌ وسلولُ

يقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكرهُهُ آجالُهم فتطولُ

وما ماتَ منَّا سيِّدٌ حتفَ أنفهِ ولا طُلَّ منا حيثُ كانَ قتيلُ

---

(١) البأو الحيف (٢) اي الدينار

تَسيلُ على حدّ الظُباتِ نفوسُنا — وليست على غيرِ الظباتِ تَسيلُ

صفَونا فلم نكدُرْ وأخلصَ سرَّنا — إناثٌ اطابت حملَنا وفحولُ

علَونا علَى خيرِ الظهورِ وحطَّنا — لوقتٍ الى خيرِ البطونِ نزولُ

فنحنُ كماء المُزنِ ما في نصابِنا — كَهامٌ ولا فينا يُعدُّ بخيلُ

ونُنكرُ ان شئنا على الناسِ قولَهم — ولا ينكرونَ القولَ حينَ نقولُ

اذا سيدٌ منّا خلا قامَ سيدٌ — قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ

ولا أُخمِدت نارٌ لنا دونَ طارقٍ — ولا ذمَّنا في النازلينَ نزيلُ

واسيافُنا في كل غربٍ ومشرقٍ — بها من قِراعِ الدارعينَ فُلولُ

معوَّدةٌ ان لا تُسلَّ نصالُها — فتغمَدَ حتى يُستباحَ قبيلُ

سلي ان جهلتِ الناسَ عنّا وعنهمُ — فليس سواءً عالمٌ وجهولُ

فانّ بني الديّانِ قُطبٌ لقومهم — تدورُ رحاهم حولهم وتجولُ

ولمّا توسعت معاني الفخارِ والحماسةِ وردمنها ذِكرُ السيوفِ القاطعةِ والرماحِ الذابلة والجيادِ الشيارِ والدروعِ السابغة والتروسِ الواقية فكان من ذلك قول الحُصينِ ابن الحُمام المرّي

فلبتَ ابا شبلٍ رأى كرَّ خيلنا — وخيلِهمِ بينَ الستارِ فأظلَما

عشيّةَ لا تغني الرماحُ مكانها — ولا النبلُ الا المشرفيّ المصمّما

لدن غدوةً حتى اذا الليلُ ما ترى — من الخيلِ الّا خارجياً مسوَّما

يطأنَ من القتلى ومن قِصَدِ القنا — خَباراً فما يجرينَ الا تجشّما

عليهنّ فتيانٌ كساهم محرِّقٌ — وكانَ اذا يكسو أجادَ وأكرَما

صفائحَ بُصرى أخلصتها قيونُها — ومُطَّرِداً من نسجِ داودَ مُبهَما

يهزّون سُمراً من رماحِ رُدَينةٍ — اذا حُرِّكت بضَّت عواملُها دَما

على ان هذه الضروبَ من الافتخار بالاجداد والاخلاق والعشيرة وجودة السلاح وكرم الجواد انما هي في من لم يطلُبْ على قوله ثوابًا · ورأى فريقٌ ان لنفثات الألسنةِ رُقيةً تَبسط بها الايدي بالعطاء وتَسطعُ لها الوجوهُ بالضياء وتمتلئ منها الصدورُ بالسرّاء فاتخذوها زُلفى الى ذوي التيجانِ ومَن علا كعبُهُ في مراتبِ عُلوّ الشأن ومن أخصبت مراعيهِ باليسارِ فطمحتْ نفسُهُ الى الفخارِ وشيوعِ الصيتِ في الأقطار فكان من ذلك المديحُ الذي اشتهرَ بهِ نابغةُ بني ذبيان وأعشى بني بكر وعلقمةُ الفحل وحسّانُ ابن ثابت وامثالهم ومن هذا الضربِ قول الحارث ابن حلّزةَ اليشكري

افلا تعدّيها الى ملكٍ — شهمِ المقادةِ ماجدِ النفْسِ
والى ابن ماريةَ الجوادِ وهلْ — شَرْوَى ابي حسّانَ في الإنسِ (١)
يحبُوكَ بالزّغفِ الفيوضِ على — هِميانها والدُّهمِ كالغرْسِ (٢)
وبالسبيكِ الصفْرِ يُضعفُها — وبالبغايا البيضِ واللُّعْسِ (٣)

وكقول المُسيَّب زهير ابن عَلَس في مديح القعقاعِ

فلأُهدينَّ مع الرياحِ قصيدةً — مني مُغلغَلَةً الى القعقاعِ
تَرِدُ المياهَ فلا تزالُ غريبةً — في القوم بين تمثُّلٍ وسماعِ
احللتَ بيتكَ بالجميعِ وبعضهم — متفرّقٌ ليحلَّ بالأوزاعِ (٤)
ولأنتَ اجودُ من خليجٍ مُفعمٍ — متراكمِ الاذيِّ ذي دُفّاعِ (٥)
وكأنَّ بُلْقَ الخيلِ في حافاتهِ — يرمي بهنَّ دوالِيَ الزُّرّاعِ

(١) الشروى المثل (٢) الزغف الدرع اللينه · والدهم الجياد السود (٣) البغايا الجواري (٤) الاوزاع الاماكن المتفرقة (٥) مفعم مملوء والاذي السيل

ولأَنتَ أَجودُ في الاعادي كلّها من مُخدِرٍ ليثٍ مُعيدٍ وِقاعِ [١]

يأتي على القومِ الكثيرِ سلاحهم فيبيتُ منهُ القومُ في وَعواعِ [٢]

أَنتَ الوفيُّ فما تُذَمُّ وبعضهم تُودِي بذمتهِ عقابُ مَلاعِ

واذا رماهُ الكاشحون رماهُمُ بمعابلٍ مذروبةٍ وقِطاعِ [٣]

ولذلكم زعمت تميمٌ أَنهُ أَهلُ السماحةِ والندى والباعِ

ولما كان رَفاهُ العيشِ وغزارةُ الثروة وبهجاتُ المجالسِ ومحاسنُ الأماكنِ مما يروقُ للقلبِ تذكارُهُ وتحلو للعينِ اثارُهُ وتطيبُ في الأُذنِ أَخبارُهُ فقد أُعطِيَ للسانِ أَن يجولَ في هذا الميدانِ ويَستنشقَ ما شاء من رَوضها الفينان. فيأتي بوصفها على ما يفوقُ نفحَ الريحان وينعش الوجدان او يُطرِبُ الجَنان فمن ذلك في صفةِ الحدائق

هي روضةٌ أَبدت ثغورَ أَزاهرٍ لما بكى فيهِ الغمامُ تبسَّما

مدَّ الربيعُ على الخمائلِ نورَهُ فيها فأَصبحَ كالخيامِ مخيِّما

تبدو الأَقاحي مثل ثغرٍ اشنبٍ أَضحى المحبُّ بهِ كئيباً مغرَما [٤]

وعيونُ نرجسِها كأَعينِ غادةٍ ترنو فترمي باللواحظِ أَسهُما

وكذلكَ المنثورُ منثورٌ بهـا لمّا رأى وَرْدَ الخُدُودِ منظَّما

والطيرُ تصدحُ في فُروعِ فنونها سَحَراً فتُوقظ بالهديلِ النُوَّما

على أَنَّ الخمرةَ كانت شرابَ ذوي الهناء وارباب الصولة حتى كُنِّيَ عديُّ ابنُ زيدٍ بشاربي الخمرِ عن الملوكِ وذلك في قولهِ

---

(١) المخدر الاسد في خدره والوقاع جمع وقعة (٢) صياح

(٣) المعابل المذروبة النصال المحدَّدة (٤) الاشنب ذو الشنب وهـو رقة وعذوبة في الاسنان

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولنا يشربونَ الخمرَ بالماء الزُّلالِ

فلذلك زعموا ان شربها لراحةِ البالِ واستقامة الحال ولهذا يقولُ امرؤ القيس الكندي

حلَّت لي الخمرُ وكنتُ امرأً عن شربها في شغلٍ شاغلِ

فاليومَ أسقى غيرَ مستحقبٍ إثماً من اللهِ ولا واغلِ[1]

فانصرف الكلام في الخمرة في كل بابٍ فتارةً في تعاطيها كقول الاعشى

وكأسٍ شربتُ على لذَّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها

ليعلمَ من لامني أنني اتيتُ المسرَّةَ من بابها

وتارةً في وصفِ مناظرِها كقول ابن ناجية الدمشقي

وحمراء قبلَ المزجِ صفراء بعدهُ أتت بين ثوبي نرجسٍ وشقائقِ

حكت وجنة المعشوقِ صرفاً فسلَّطوا عليها مزاجاً فاكتست لونَ عاشقِ

وقول الآخر

وصفراء من ماء الكروم كأنها لقاء عدوٍ او فراقُ صديقِ

كأنَّ الحبابَ المستديرَ برأسها كواكبُ دُرٍّ في سماء عقيقِ

الى غير ذلك من وصفِ عصرِها وحفظها في الدنِّ وتمشيها في المفاصل مما يطولُ بسطهُ

واقتضى بذلُ العناية بها ان توصف كؤوسُها ودنانها وبائعُها وساقيها والمنزلُ المختارُ لشربها والآن المنتقى لتعاطيها كأن يكونَ الزمنُ بارداً وقد هجمَ الثلجُ فرفعَ أعلامهُ على رؤوسِ الجبال وبعثَ فارسَ بردِهِ فحصرَ الناس في دُورِهم خشية أذيتِهِ او كأنْ يكونُ الزمنُ ربيعاً وقد صفقت الأنهارُ ألحاناً

(١) رواية فاليوم اسقى هي افضل رواية لهذا البيت

وقامت البلابلُ على الأغصانِ أزواجاً ووحداناً واتخذتِ الأشجارُ من النَّورِ تيجاناً ومن الزَّهرِ حُللاً تشكّلت ألواناً وهنالك في صفةِ المكانِ للبلاغةِ ميادينُ جال فيها كل فكرٍ جواد وخاطرٍ نقّاد كقولِ الشاعرِ

وَقانا نفحة الرمضاء وادٍ سقاهُ مُضاعفُ الغيثِ العميمِ
نزلْنا دوحهُ فحنا علينا حنوَّ الوالداتِ على الفطيمِ
وأرشفنا على ظمإٍ زلالاً أحبَّ من المُدامةِ للنديمِ
يصدُّ الشمسَ أنَّى واجهتنا فيحجبُها ويأذنُ للنسيمِ

وجاء في صفاتِ الأزاهيرِ ما يأتي : ففي الزنبق قول فتح الله ابن النحاس

جادت عليك يدُ الربيعِ بزنبقٍ يدعو الندامى لارتشافِ عقارِ
او ما تراهُ كأكؤسٍ من فضةٍ قد موِّهت اطرافُها بنضارِ

وفي صفة النرجس قول ابن الجبان

وشادنٍ أغيدٍ حيّاً بنرجسةٍ كأنَّها اذ بدت في غاية العجبِ
كفٌّ من الفضةِ البيضاءِ ساعدُها زبرجدٌ حملت بعضاً من الذهبِ

وفيها ايضاً قول ابن المعتز

اما ترى النرجس الريَّانَ يلحظُنا بلحظِ ذي فرحٍ بالعتبِ مسرورِ
كأنَّ أعناقهُ في حسنِ صورتهِ مداهنُ التبرِ في أوراقِ كافورِ

ثم اختُلفَ في تعيينِ ميعادِ الشرابِ بين ان يكون صباحاً لتفرُّغِ النفسِ من العملِ وإكبابِها على اللهوِ وهو من شيمةِ وُرَّاثِ الجاهِ والغنى الذين وجدوا عن العملِ مندوحةً ويُسمَّى هذا صبوحاً ومنهُ قول عديِّ ابنِ زيد

فدعا بالصبوحِ يوماً فجاءت قينةٌ في يمينها إبريقُ
قدَّمتهُ على عقارٍ كعينِ الديك صفَّى سُلافَها الراووقُ

ثم كان المِزاجُ ماءَ غمامٍ غيرَ ما آسنٍ ولا مطروقِ

وبينَ ان يكونَ ليلاً وهو من شأنِ أصحابِ الأعمالِ الذين ينهمكونَ فيها بياضَ يومهم استدراراً للمعاشِ فإذا وفدَ الليلُ لبسوا جلبابهُ فأخفاهم وحثُّوا الى الملاهي مطاياهم[١] ويسمى هذا غبوقاً واليه اشار عنترة الفلحاء في قوله

كذَبَ العقيقُ وماءُ شنٍّ بارداً ان كُنتِ سائلةً غبوقاً فاذهبي[٢]

وفي التفضيلِ بين الصبوحِ والغبوقِ اقوالٌ جمعَ منها صاحبُ معجمِ لسانِ العربِ في كتابهِ نثار الازهارِ غرائبَ أنيقةً وعجائبَ رشيقة

على أنَّ استكمالَ الطربِ دعا النفوسَ الى الإقبالِ على الغناء على الآلاتِ المتعددةِ والقصفِ الداعي الى هزِّ الخُصور وتموُّجِ الصدور فنشأ من ذلك مدحُ الصوتِ الرخيم كقول الشاعر

بدتْ بوجهٍ كأنهُ قمرٌ على قوامٍ كأنهُ غصنُ

غنَّتْ فلم تبقَ فيَّ جارحةٌ حتى تمنَّت لو أنها أُذُنُ

وقول طرفة عمرو ابن العبد البكري

نداماي بيضٌ كالنجومِ وقينةٌ تروحُ علينا بين بردٍ ومجسدِ

اذا نحنُ قلنا أسمعينا انبرَت لنا على رِسلِها مطروفةً لم تُشدَّدِ

ثم اتسع المجالُ الى وصفِ آلاتِ الطربِ وحلاوةِ نغماتها فجاء في صفةِ العودِ قول صفيِّ الدينِ الحلّي

عودٌ حوت في الارضِ أعوادُهُ كلَّ المعاني وهو رطبٌ رخيمْ

يحارُ شدوُ الورقِ في شجوهِ ورقةُ الماء ولُطفُ النسيمْ

ولما كان الإنشادُ مأخوذاً عن تغريدِ الحمائمِ جاء في صفةِ التغريدِ اقوالٌ منها

(١) جمع مطية اي ركوبة (٢) كذب اي وجب

قولُ الشاعر

رُبَّ ورقاءَ هتوفٍ في الضحى ... ذاتِ شجوٍ صدحت في فَنَنِ
ذكرتْ إلفاً ودهراً صالحاً ... فبكت حزناً فهاجت حزني
فبكائي ربما أرَّقها ... وبكاها ربما أرَّقني
ولقد أشكو فما أُفهِمُها ... ولقد تشكو فما تُفهِمني
غيرَ أنّي بالجوى أعرفها ... وَهْيَ ايضاً بالجوى تعرفني

ورأى الشعراء ان الكُبراء قد راقَ لهمُ الغلوُّ في امتداحهم وانبسطت أيديهم بالعطاء لتلكَ السفاسِفِ فأخذوا يردون مواردَها منتقلين من جانبِ المعقولِ المقبول الى الموهومِ المرذول فجاء من ذلكَ قولُ المتنبي في محمد ابن زريق الطرسوسي

بَشرٌ تصوَّرَ غايةً في آيةٍ ... ينفي الظنونَ ويُفسِدُ التقييسا
وبه يضنُّ على البريّةِ لا بها ... وعليه منها لا عليها يوسى
لو كان ذو القرنين أعملَ رأيهُ ... لما أتى الظلماتِ صِرنَ شموسا
او كان صادفَ رأسَ عازرَ سيفُهُ ... في يومِ معركةٍ لأعيا عيسى
او كان لجُّ البحرِ مثلَ يمينِهِ ... ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى
او كان للنيرانِ ضوءُ جبينِهِ ... عُبِدت فصارَ العالمونَ مجوسا

ونتجَ عن استحسانِ المديحِ استقباحُ الهجاء فتولَّدَ نوعٌ من الشعرِ متعدِّدُ الصورِ تارةً هجاءً لبخلٍ ومن ذلك قول بشّار

أُثني عليكَ ولي حالٌ تكذِّبني ... فيما أقولُ وأستحيي منَ الناسِ
قد قلتُ ان أبا حفصٍ لأكرمُ من ... يمشي فخاصمني في ذاك إفلاسي

وتارة هجاءً لكذبٍ ومن ذلك قول الشاعر

لقد أخلفتني وحلفتَ حتى ... إخالكَ قد كذبتَ وإن صدقتا

ألا لا تحلفنَّ على يمينٍ فأكذبُ ما تكونُ اذا حلفتا

وطوراً هجاء الجُبن ومن ذلك قولُ الشاعر

جبانُ اللقاء وعندَ الخِوا (م) نِ أمضى واشجعُ من رُستمِ

فلو كنتَ تفعلُ ذافي الحروبِ أغرتَ على التركِ والدَّيلمِ

وطوراً هجاء الثقالة كما قال الشاعر

يا مَن تبرَّمتِ الدُّنيا بطلْعتهِ كما تبرَّمتِ الأَجفانُ بالسَّهَدِ

يمشي على الأرض مجتازاً فأحسبهُ من بُغضِ طلْعتهِ يمشي على كبِدي

وحيناً ذماً لدمامة كما قال ابو دُلامة يهجو نفسهُ

الا أبلغ لديك ابا دُلامه فلستَ من الكرامِ ولا الكرامه

جمعتَ دمامةً وجمعتَ لؤماً كذاكَ اللؤمُ تتبعهُ الدمامه[1]

اذا لبسَ العمامةَ قلتُ قردٌ وخنزيرٌ اذا وضعَ العمامه

وحيناً ذماً لدناءة اصل كقول حسان ابن ثابت

أبوكَ أبوكَ وانتَ ابنهُ فبئسَ البُنيُّ وبئسَ الأبُ

والولوجُ في هذا النوع يطولُ فنكتفي بما اوردناهُ

على أنَّ الشعرَ لم يقفْ عندَ هذه الابحاثِ فنظرَ الى ما حَسُنَ وما قبُحَ فوصفهُ الوصفَ البديعَ فجاء في وصفِ قصبِ السكَّرِ قولُ الشاعر

رِماحُ شَهدٍ شهدنا أنها انفردت بطيبِ طعمٍ فلا شيءٌ يدانيها

تخضرُّ حيناً فتحكي في تلوُّنها لونَ الزمرُّدِ تفصيلاً وتشبيها

مُفصَّلاتٍ فُصولاً بينها عُقَدٌ حلَت ودقَّت وفاقت من يُضاهيها

ليست تطيبُ ولا تحلو مذاقتُها حتى تشيبَ وما شابت نواصيها

وقال ابو العلاء المعرّي في وصفِ الشمعة

(١) القبح في الخلقة

وصفراء لون التبر مثل جليدة ... على غير الأيام والعيشة الضنك
تريك ابتساماً دائماً وتجلُّداً ... وصبراً على ما نالها وغنى في الملك
فلو نطقت يوماً لقالت أظنكم ... تخالون أني من حذار الردى أبكي
ولا تحسبوا دمعي لوجد وجدته ... فقد تدمع العينان من شدة الضحك

وقال البحتري في وصف بركة

تنصبُّ فيها وفود الماء معجلة ... كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة ... من البساتين تجري في مجاريها
اذا علتها الصبا أبدت لها حبكاً ... مثل الجواشن مصقولاً حواشيها(١)
فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها ... وريق الغيث احياناً يباكيها(٢)
اذا النجوم تراءت في جوانبها ... ليلاً حسبت سماء ركبت فيها
لا يبلغ السمك المحصور غايتها ... لبعد ما بين قاصيها ودانيها
يعمن فيه بأوساط مجنحة ... كالطير تنقض في جو خوافيها(٣)
لهن صحن رحيب في أسافلها ... اذا انحطن وبهو في أعاليها(٤)
صور الى صورة الدلفين يؤنسها ... منه انزواء بعينيه يوازيها(٥)
تغنى بساتينها القصوى برؤيتها ... عن السحائب منحلاً عزاليها(٦)

ونطاق هذا الباب متسع فقد امتد حتى بلغ الأفلاك ووصف النجوم والقمر والشمس والغيم وهلم جرا . في صفة الشمس يقول النابغة الذبياني

كليني لهم يا اميمة ناصب ... وليل اقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنته ... وليس الذي يرعى النجوم بآيب

---

(١) الجواشن الدرع (٢) الريق من كل شيء أوله (٣) الخوافي ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت (٤) البهو البيت (٥) الدلفين دابة بحرية (٦) العزالي جمع عزلاء، وهي مصب الماء من الراوية

يريد بالذي يرعى النجوم الشمسَ التي تأتي بعدَ النجوم كما ياتي الراعي وراء النعم
وفي صفةِ القمرِ يقولُ عبدالله ابنُ المعتز

اهلاً بفطرٍ قــد اتاك هلالُهُ فالآن فاغدُ الى الصلاةِ وبكرِ
فكأنما هــو زورقٌ من فضةٍ قد أثقلتهُ حمولةٌ من عنبرِ

وفي صفةِ القمرِ هلالاً يقولُ صلاحُ الدين الصفدي

تبدى هلالَ الأفقِ في الشرقِ بعدَما تمحقَ من أرجائِهِ النورُ وامحى
فاشبهَ والتشبيهُ شتّى ضروبهُ بقايا طحينٍ لاحَ في جانبِ الرحى

وفي صفةِ الهلالِ والثريا يقولُ محمدُ ابن عيسى الكرخي

كأنَّ الهلالَ المستنيرَ وقــد بدا ونجمُ الثريّا وقفٌ فوقَ هالتهْ
مليكٌ على أعلاهُ تاجٌ مرصعٌ ويزهى على من دونهُ بجلالتهْ

ويقول عبدالله ابن المعتز

قدِ انقضت دولةُ الصيامِ وقد بشَّرَ سقمُ الهلالِ بالعيدِ
يتلو الثريّا كفاغرٍ شرهٍ يفتحُ فاهُ لأكلِ عنقودِ

ولما كانت جوائحُ[1] الايام مسلَّطةً على بني الإنسانِ ولها من الروعةِ في الفؤاد ما يذيبُ الروعَ[2] ويستمطرُ الدموعَ ويثيرُ النيرانَ في الضلوعِ ويقصي عن الأجفانِ طارقَ الهجوعِ[3] ويغادرُ الشجاعَ النجيدَ اشبه بالجبانِ الهلوعِ تبارتِ القرائحُ في هذا الباب[4] واكثرت من خوض هــذا العُباب حتى زعم بعضُ العربِ انَّ اولَ الشعرِ كان من هذا النمط أنشأهُ آدمُ عليهِ السلام حزناً على مقتلِ ولدهِ قايل (هابيل) وتشرُّدِ ولدهِ قايين وخروجهِ من الجنةِ ويروون لذلك ابياتاً صدرُها

(١) جمع جائحة اي المصيبة العظيمة التي تجتاح المال اي تستأصلهُ (٢) القلب
(٣) يقصي يبعد والهجوع النوم (٤) تسابقت

تغيّرت البلادُ ومَن عليها فوجهُ الأرضِ مغبرٌّ قبيحُ

وهذا يدلنا على تقادُم الرثاء الذي تفنَّنَ بهِ ناسجوهُ فتارة يكبّرون الفاجع ويستعظمون الخطبَ الواقع كما قال ابو تمام

كذا فليَجِلَّ الخطبُ وليفدحِ الأمرُ فليسَ لعينٍ لم يفِضْ دمعُها عذرُ

تُوُفيتِ الآمالُ بعد محمّدٍ وأصبحَ في شُغلٍ عن السَفَرِ السفْرُ

وما كانَ الاَّ مالَ من قلَّ مالهُ وذُخراً لمَن أمسى وليس له ذُخرُ

وما كان يدري مُجتدي جودِ كفهِ اذا ما استهلتْ أنه خُلِقَ العُسْرُ

ألا في سبيلِ اللهِ من عطِّلَت لهُ فجاجُ مساعي اللهِ والثغرَ الثغرُ

فتى مات بين الطعنِ والضربِ ميتةً تقومُ مقام النصرِ ان فاتهُ النصرُ

فتى طاهرُ الأثوابِ لم تبقَ روضةٌ غداةَ ثوى الاَّ اشتهت أنها قبرُ

ثوى في الثرى من كان يحيا بهِ الثرى ويغمرُ صرفَ الدهرِ نائلهُ الغمرُ(١)

عليك سلامُ اللهِ وقفاً فانني رايتُ الكريمَ الحرَّ ليس له عُمْرُ

وتارةً يفيضون في بيانِ الأسى ويُلِمّون بأوصافِ الفقيدِ ومن ذلك قولُ ابي تمّام ايضاً

أعيدي النوحَ مُعولةً اعيدي وزيدي في بُكائِكِ ثمَّ زيدي

وقومي في نساءٍ حاسراتٍ خوامشَ للنحور وللخدودِ

هو الخطبُ الذي ابتدعَ الرزايا وقال لأعينِ الثقلَينِ جودي

فيابحرَ المنونِ ذهبتَ منهُ ببحرِ الجودِ في السنةِ الصلودِ

ويا أسدَ المنونِ فرستَ منهُ غداةَ فرستهُ أسدَ الأسودِ

أبالبطلِ النجيدِ فتكتَ منا نعمْ وبقاتلِ البطلِ النجيدِ

(١) الكثير

فيالكِ ساعةً أهدت غليلاً الى أكبادِنا أبدَ الأبيدِ[1]

وتارة يجمعون بينَ الحكمةِ والحقيقةِ ويعطفون نظراً الى الماضي فتقعُ الكلمةُ موقعَ الاستحسان كقولِ ابي الطيب المتنبي

الحزنُ يُقلِقُ والتجملُ يردَعُ والدمعُ بينهما عصيٌّ طيِّعُ
يتنازعانِ دموعَ عينِ مسهدٍ هـذا يجيءُ به وهذا يرجِعُ
النومُ بعدَ ابي شجاعٍ نافرٌ والليلُ معيٍ والكواكبُ ظُلَّعُ
اني لأجبنُ من فراقِ احبتي وتحسُّ نفسي بالحِمامِ فأشجعُ
تصفو الحياةُ لجاهلٍ او غافلٍ عمّا مضى منها ومـا يتوقّعُ
اينَ الذي الهرمانِ من بنيانِهِ ما قومهُ ما يومهُ ما المصرعُ
تتخلَّفُ الآثارُ عن أصحابِها حيناً ويدركُها الفناءُ فتتبَعُ

وتارةً بينَ الحكمةِ والموعظةِ واليقينِ الدينيِّ فينتظِمُ عقدٌ من الفرائدِ يختلِبُ اللُّبَّ بهاؤهُ وينيرُ مخادعَ القلبِ ضياؤهُ ومن ذلك قولُ ابنِ النبيه

ألناسُ للموتِ كخيلِ الطِرادْ فالسابقُ السابقُ منها الجوادْ
واللهُ لا يدعو الى دارِهِ الأمنَ استصلحَ من ذي العبادْ
والموتُ نقّادٌ على كفِّهِ جواهرٌ يختارُ منهـا الجيادْ
والمرءُ كالظلِّ ولا بدَّ أن يزولَ ذاكَ الظلُّ بعدَ امتدادْ
لا تصلحُ الأرواحُ الاّ اذا سرى الى الأجسادِ هذا الفسادْ
ارغمتَ يا موتُ أنوفَ القنا ودُستَ أعناقَ السيوفِ الحدادْ

ومواردُ الرثاء كثيرةُ الفيضِ والتعرُّضُ لحصرِها يقتضي إطالةَ البحثِ وفي ما أوردناهُ مقنَعٌ

(١) الغليل هنا حرارة الحزن

ولما كانت العلوم من عقلية ونقلية ينعت[1] ثمارها على طول المزاولة[2] وسجعت أطيارها في رياض المساجلة[3] أخذ الشعر نصيبه منها لأن قيوده أدعى الى حفظ الحقائق في صوانها[4] وأحكم في ضم الفرائد في سموطها واقرب الى استظهارها عن ألواح الصدور فنظمت القصائد والاراجيز في الصرف والنحو والفقه واللغة والعروض والفرائض والمنطق وأدب البحث والبيان حتى الجبر أيضاً

ومن المعلوم أن بروز الشيء في غير موضعه إذا كان عن مناسبة عقلية او لفظية وقع موقع الجودة وكتب له الاستحسان فلذلك عمد الشعراء الى إدماج الاحكام العلمية في غير أبوابها على وجه شائق تظريفاً للحديث وتنشيطاً للسامع وإظهاراً لسعة العلم او تأييداً لصحة المبدإ ومن ذلك في الصرف قول الشاب الظريف

يا ساكناً قلبي المعنّى وليس فيه سواه ثاني
لأيّ معنى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان[5]

وفي الحساب قول ابي العز المغربي

رمت القلب في الغرام بلحظ يعزب القلب حين يرسل سهمه[6]
هذه في هواه يا قوم حالي ضاع قلبي ما بين ضرب وقسمه[7]

وفي التاريخ قول برهان الدين القيراطي

---

(٢) ادركت وطابت وحان قطافها (٢) المماجنة (٣) عارضه بان صنع مثل صنيعه (٤) الوعاء الذي يصان الشيء به (٥) في الكلام بيان انه متى اجتمع ساكنان كسر اولهما نحو أطلبِ العلمَ (٦) يعزب يغيب (٧) في الكلام إشارة الى الضرب والقسمة في الحساب

يا من تبرمكَ حبهُ في عشقهِ بالوَصلِ لا تَبخَلْ فعشقي زائدُ
بالفضلِ جُدْ لي إنَّ دمعي جعفرٌ والوَجدُ يحيى والتشوّقُ خالدُ[(١)]

وفي الفقه[(٢)] قولُ الشاعر

ردُّوا الهدوَّ كما عهدتُ الى الحشا والمُقلتَينِ الى الكرى ثمَّ اهجُروا[(٣)]
من بعدِ ملكي رُمتمُ أن تغدُروا مـا بعدَ فرقةِ بائعينِ تخيُّرُ[(٤)]

وفي الكيمياء[(٥)] قولُ ابن النبيه

تعلمتُ علمَ الكيمياء بحُبّهِ غزالٌ بجسمي ما بعينيهِ من سقمِ
فصعَّدتُ أنفاسي وقطرتُ أدمعي فَصحَّ بذا التدبيرِ تصفرةُ الجِسمِ

وفي العَروض قولُ ابنِ نصرِ الله المصري

وبقلبي من الهمومِ مديدٌ وبسيطٌ ووافرٌ وطويلُ
لم أكُنْ عالماً بذاكَ الى أن قطَّعَ القلبَ بالفراقِ الخليلُ

وفي الهندسة يقولُ الشاعر

محيطٌ بأشكالِ الملاحةِ وجهُهُ كأنَّ بهـا أقليدساً يتحدَّثُ
فعارضهُ خطٌّ استواءٍ وخالُهُ بهِ نقطةٌ والشكلُ شكلٌ مثلَّثُ

وفي صناعةِ الالحانِ قولُ شمسِ الدينِ ابنِ جابرِ الاندلسي

يا ايها الحادي اسقِني كأسَ السُّرى نحوَ الحبيبِ ومهجتي للساقي

---

(١) الفضل وجعفر هما ولدا يحيي ابن خالد البرمكي والجعفر في اللغة الجدول
(٢) الفقه هو العلم بالاحكام الشرعية العملية من ادلتها التفصيلية (٣) عهدت عرفتُ (٤) في الكلام بيان قاعدة فقهية هي انهُ لا خيار بعد فرقة البايعين
(٥) الكيمياء هي عَلَى ما كانوا يزعمون صناعة يراد بها تحويل المعادن الخسيسة الى معادن كريمة وعَلَى الخصوص تحويلها ذهباً وهذا ما اراده الشاعر

حيِّ العراقَ على النوى واحملْ الى ... أهلِ الحجاز رسائلَ العشَّاقِ[1]

وفي المنطق قول الشاب الظريف

يا جامعَ المالِ وَهوَ يمنعهُ ... عن راغبٍ في نوالهِ طامعْ

اصبحتَ في البخلِ قد عُرِفتَ بهِ ... كأنكَ الحدُّ جامعٌ مانعْ

وفي النحوِ قول المتنبي

أمضى إرادتهُ فسوفَ لهُ قدٌ ... واستقربَ الأقصى فثمَّ لهُ هنا

وقول احد الشُعراء في رجل اسمهُ عُمَرُ عزِل وتولى مكانهُ آخر اسمهُ أحمدُ

ايا عُمَرُ استعدَّ لغيرِ هذا ... فأَحمدُ بالولايةِ مطمئنُّ

فإنَّكَ فيكَ معرِفةٌ وعدلٌ ... وأحمدُ فيهِ معرفةٌ ووزنُ

وقد أخذ الشعرُ القدحَ المُعلّى في الحكمةِ والفلسفة فوردت فيه الأمثالُ الباهرةُ والحقائقُ الظاهرةُ والتحقيقاتُ النادرةُ في الحكمة يقولُ المثقّبُ العبديُّ

لا تقولنَّ إذا ما لم تُرِدْ ... أن تُتمَّ الوعدَ في شيءٍ نعمْ

حسنٌ قولُ نعمْ من بعدِ لا ... وقبيحٌ قولُ لا بعدَ نعمْ

إنَّ لا بعدَ نعمْ فاحشةٌ ... فَبِلا فابدأ اذا خفتَ الندمْ

واذا قلتَ نعمْ فاصبرْ لها ... بنجاحِ القولِ ان الخُلفَ ذمّ

واُعلمَ أنَّ الذمَّ عارٌ للفتى ... ومتى لا يتّقِ الذمَّ يُذمْ

أكرمِ الجارَ وأرعَ حقّهُ ... ان عرفانَ الفتى الحقَّ كرمْ

لا تراني راتعاً في مجلسٍ ... في لحومِ الناسِ كالسبُعِ الضرِمْ

ان شرَّ الناسِ من يكشرُ لي ... حينَ يلقاني وان غبتُ شتمْ

---

(١) العراق والنوى والحجاز والعشاق من مسميات انواع الالحان

ولابي العتاهية ارجوزة تعدُّ الوفاً من الابيات في هذا المنوال منها

إنَّ الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ مفسدةٌ للمرءِ أيُّ مفسدهْ

إصحبْ ذوي الفضلِ وأهلَ الدينِ فالمرءُ منسوبٌ الى القرينِ

وفي الفلسفة اقوالٌ كثيرة لابي العلاء المعرّي منها قوله

خَفِّفِ الوطءَ ما أظنُّ أديمَ الأ رضِ الأ من هذهِ الأجسادِ

وقبيحٌ بنا وان قَدُمَ العهـ ـدُ هوانُ الآباءِ والاجدادِ

وعَلِقَ الشعرَ قومٌ لم تستكملْ بهم ملكةُ الفضلِ ولا فازوا من بحورِ الادبِ بدُرَرِ الإجادةِ في رصفِ المعاني الشائقةِ واستخراجِ المغازي الرائقةِ فأتوا بألفاظٍ شِبهُها بالشعرِ بمنزلةِ نورِ الحباحبِ من سناءِ الكواكبِ ومن ذلك ما أورَدَهُ البيهقيُّ في كتابهِ المحاسن والمساوىء قال "أرسلَ المعتصمُ الى أشناسَ فطلبَ منهُ كلبَ صيدٍ فوجهَ بهِ اليهِ فردَّهُ وهو يعرجُ فكتب اليه أشناسُ بشعرٍ قالهُ :

أكلبُ أخذتَ جيدٌ مكسورَ رجلٍ جبتَ

رُدَّ جيدٌ كما كا بٌ كنتَ أخذتَ

فكتب اليهِ المعتصم

ألكلبُ كان يعرُجُ يومَ الذي بهِ بعثتَ

لو كانَ جاءَ مخبِرًا خبرَ رجلِ كلبٍ أنتَ»

فانظر ما اسخف هذين القولين معنىً ولغةً ووزناً

واعلى من هذا النمطِ يعدُّ الذينَ صرفوا قواهمُ في الألغازِ والمعمّياتِ والأحاجي اللفظيةِ فضاعَ بها الوقتُ ولم تفدْ في أدبِ النفسِ نموًّا ولا في أدبِ الدرسِ سموًّا وإنما هي أضاحيكُ تأخذُ منَ العقلِ والزمنِ ولا تعطي غيرَ الغبنِ وإضاعةِ الفطنِ والعاقلُ يربأُ بنفسهِ ان يعرِّج على مثل هذه الدمن

ومنَ المقرَّرِ أنَّ تعدُّدَ العُمَّال يقتضي ضرورةَ ازدياد تفرُّعِ الأعمال وهذا ما حدَثَ في الشؤُونِ الشعريةِ أيَّامَ تبسُّطِ الأمةِ العربيةِ في المُلكِ والعلمِ والغنى ولو اصطفى كلُّ شاعرٍ لهُ منهجاً هو بانقُ نيضهِ وغارسُ روضهِ فلا يُلِمُّ بنهجِ أخيه الأ إلمامةَ المذيقِ[1] بالمشحذِ لتزدادَ قريحتهُ جلاء وطريقتهُ سناء وعزيمتهُ مضاء لجاء الشعرُ بالعجائبِ ولكنَّ الأكثرينَ عمدَوا إلى الاقتداء والتقليدِ ولذلك نجدُ قوَّادَ كتائبِ الشُعراء عندنا معدُودين فنقولُ امرؤ القيسِ إذا خاطبَ الديار . والنابغةُ اذا رهبَ البتّار . والأعشى اذا أطربتهُ الأوتار . وعنترةُ اذا خاضَ الغبار . والأخطلُ اذامدحَ الملوكَ الكبار . وجريرٌ اذا تدفقَ كالتيَّار . والفرزدقُ اذا جرى ذِكرُ الفخار . وابو النوَّاس اذا أفاض في الخمرِ والخمَّار . وأبو العتاهية اذا ذُكِرتِ الجنَّةُ والنار . وابنُ المعتزِ اذا وُصِفَتِ المرئيَّاتُ في الأبصار . وابو تمام الطائي اذا أُبِنَ كريمُ النجار . وابو عبادةَ البحتري اذا تنمنمَ نسيجُ الأشعار وابو الطيِّبِ المتنبي اذا أُريدَ الابتكار .

على أنَّ الشعرَ العربيَّ أُصيبَ بفادحةٍ أوقفَتهُ موقفَ المغبون وصفَّدتهُ بقيودِ الشجون إذ تخذهُ أربابهُ وسيلةً للارتزاقِ من الكُبراء اما بمديحٍ او هجاء او تهنئةٍ او عزاء ولم يُعطَ حظَّهُ من التأريخ كما يجبُ فاذا جاء منهُ شيءٌ في ذلك كان كلمةً لا تُبِرُّ سبيلاً ولا تروي غليلاً وقد دوَّنتُ في كتابي « منزلة الشعر من التاريخ » الذي نشرتُ معظمهُ في مجلةِ المقتطفِ الغرَّاء كثيراً من شؤُونِ العربِ التاريخية استخراجاً من شعرِهم ولكنَّ الشعرَ التاريخيَّ المستوفى كما نظمَ هوميرسُ اليونانيُّ الياذتهُ واوذيستهُ ليسَ لهُ نظيرٌ عندنا وما شأنهُ

---

(١) الشفرة

بعسير على لغتنا بدليل تعريب الالياذة الى العربية بفصاحة واستيفاء وقد نظمت رواية دعوتها «نذر يفتاح» تبعت فيها النهج التاريخي قبل أن أقف على الياذة هوميرس وان أذن الله لي بنشرها يتبين ان المنهج التاريخي في الشعر العربي رحب الجناب خصيب المغرس بثمار المعاني اللطيفة والمغازي الشريفة فليؤمه الراغبون

وها أنا ذا أنشر الجزء الأول من كتابي «الارض في السماء» وقد جمعت في قصائده الحقائق العلمية والنتائج العقلية والفوائد الزراعية على نمط لا أعلم أنني سبقت اليه وأرجوان ينال رضى الأدباء وإقبالهم لأقفوه بالجزء الثاني فالثالث فان كل سوق راجت تفد اليها البضائع وترجى منها المنافع والسلام

تدرج الشعر في إحكام نسجه وتضييق دائرته بقيوده اللفظية مع الأيام فلم يكن قيد الروي في القافية اولاً بدليل إهمال شأن الروي عند الأمم الأخر وبدليل ما يورده العروضيون في كتبهم من وقوع بعض الشعر مختلف الروي ثم روعي الروي بحرفه دون حركته فجاء في القافية إقواء كأن يكون الاختلاف بين الضم والكسر او بين الضم والفتح ثم أزيل ذلك كله وجعل التزام حركة الروي المتحرك في القوافي شرطاً لا مفر منه لجودة وقع ذلك في السمع

ويقال ان الشعر العربي لم يكن يطول فيتجاوز سبعة أبيات حتى جاء المهلهل عدي ابن ربيعة التغلبي فأطال القصائد وعندي ان في ذلك القول نظراً فإن الملك عمرو ابن عدي اللخمي كان قبله بعهد طويل

وقصيدتهُ التي مطلعها « الا يا ايها الغرُّ المرجي » أطولُ من ٧ ابياتٍ ولعلَّ الإطالةَ التي تُعزى الى المهلهل هي الإطالةُ الجزيلة فتربي على العقود والله أعلم

ولما راج سوقُ الشعرِ في عهدِ الدولتينِ الأمويةِ والعباسيةِ اخذوا يختارون النقيَّ الأجودَ ثم عقبهما دُوَلٌ قلَّ فيها المحسنون قولاً وعلماً ومال الناظمون الى السفاسفِ فأحبُّوا القولَ المزوَّق وكادوا ينبذون ما دونهُ حتى كانت العنايةُ بالألفاظ تمحو العنايةَ بالمعاني ولا سيما أنَّ بعضَ الشعراء غالى بالجناساتِ واللزوميات وأمثالها من المحاسنِ الخارجيةِ في نسجِ اللفظِ حتى ضعفَ المعنى وقلَّ المفادُ وهذا الكثيرُ في شعرِ المولَّدين فتسمعُ لشقاشقِ ألسنتهم جعجعةً ولا ترى لها طحناً

وقدِ اختلطَ العربُ بالأممِ الأخرى وفسدَتْ ألسنتُهم فأخذوا عن اولئكَ الأقوام أنواعاً من الشعرِ كالزجل والمواليا والدوبيت والسلسلة وهلمَّ جرًّا فتفننوا بها · ورأى الذينَ أقاموا عمودَ اللغةِ في نظمهم أنْ يستخرجوا من تلكَ الأوزان محاسنَها ويفرغوها في القول الفصيحِ والوزنِ الصحيح ففعلوا وكانَ من ذلكَ التخميسُ والتوشيحُ

واستحسنتِ المسامعُ شأنَ التوشيحِ وابدِ الأندلس فنال استحساناً لم يكن لسواهُ فتفنَّنَ بهِ الشعراء وأبرزوهُ في أوزانٍ متعددةٍ وأساليبَ متنوعةٍ وراقَ للنفسِ ما يُعطيهِ منَ السعةِ لتغيُّرِ القافيةِ وإبعادِ سآمةِ النفسِ من وقعِ الصوتِ الواحدِ فكانَ إتباعهُ أدعى في استكمالِ القولِ سواءٌ كانَ حمداً او وصفاً او مديحاً او عزاءً او نُصحاً او حكمةً او نوعاً اخر شعرياً أيًّا كان

ولمَّا نهضتْ آدابُ اللغةِ العربيةِ من ضجعتها وعرفَ الناطقونَ بالضادِ فضلَ هذا اللسانِ المهذَّبِ المحكمِ القواعدِ والغزيرِ الموادِ أخذوا في كلِّ فنٍّ لغويٍّ يبذلونَ عنايةً مذكورةً بالثناء وكانَ للشعرِ حظٌّ كبيرٌ من الاهتمامِ فتظرَّف

الأُدباء في القوافي تظرُّفاً كلُّهُ حسنٌ كما نرى معرِّبَ الالياذة يوردُ الأنواعَ المتعدِّدة مما أتى بهِ من نفسهِ

وقد وجدتُ أن التزامَ الرويّ في كلّ شطرٍ وتعدُّدَهُ في الأشطرِ على قياسٍ منظَّمٍ لهُ وقعٌ في الأذنِ أطرب . ونسجهُ من الوجهةِ اللفظية أعجب . واختصاصهُ ببلاغةِ المعاني اشدُّ واغرب . وهو لاستيعابِ المقصودِ في الكلمةِ الفضلى والمجالِ الأوسعِ أكثرُ تمكيناً وظهوراً فتخيَّرتُ ذلك في هذا الجزء الا انني أحببتُ مجاراة معرِّبِ الالياذةِ في بعضِ الأنواعِ التي ابتكرَها فندَّدتُ فيها عن التزامِ الرويِّ في كلِّ شطرٍ

. . . . .

اما تسميةُ كتابي هذا « الأرض في السماء » فهوَ من بابِ المجاز المرسَلِ فالأرضُ يرادُ بها الناسُ تسميةً للشيء باسمِ مكانهِ . كما جاء في الانجيل « أنتم ملحُ الأرضِ » (مت ٦ : ١٣) اي ملحُ الناس وكما قال سليمانُ الحكيم « حنكُكِ كأجودِ الخمر » (نشيد ٧ : ٩) اي ريقُكِ وقد جاء في الشعرِ كقولِ عنترة العبسي

فشككتُ بالرُّمحِ الأصمِّ ثيابَهُ   ليسَ الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

فان كلمةَ ثيابَهُ مجازٌ مرسَلٌ يريد بها جسدَهُ . ومن هذا النوعِ ما جاء في القرآن « فليدْعُ ناديَهُ » اي أهلَ ناديهِ وأردتُ بالسماء النعيمَ لأنَّ السماء مقرُّ النعيم فموضوعُ كتابي إذن البحثُ فيما ينالُ بهِ الإنسانُ رغدَ العيشِ وحلاوةَ الأمنِ وبهجةَ الروحِ ونشاطَ الجسمِ فميدانُهُ رحْبُ الرحابِ قويمُ الجوادِّ غزيرُ الشعابِ [1] وقد وقفتُ عندَ نشرِ الجزءِ الأولِ ليسهلَ تناولُهُ على مشتريه

(١) الرحاب جمع رحبة اي الساحة . والجوادّ جمع جادّة وهي معظم الطريق ووسطه والشعاب جمع شعب وهو ما انفرج بين الجبلين

وقد تخيرتُ ان يكونَ الكلامُ عن لسانِ الآلهةِ لأمرينِ الأولُ حفظُ آثارِ السابقينَ في حلبةِ (١) العمرانِ الذينَ بلغوا في تصويرِ آلهتهم كلَّ مبلغٍ في التلوُّنِ وليظهرَ الفرقُ العظيمُ بينَ مخترعِ العقلِ البشريِّ ووضعِ الوحيِ الربّانيِّ فإنَّ انحطاطَ أسمى المداركِ البشريةِ عن الدنوِّ من سموِّ التعليمِ الإلهيِّ دليلٌ على أنَّ الدينَ الحقيقيَّ ليسَ من وضعِ الإنسانِ ولا بمشيئةِ إنسان. والثاني إنَّ الكلامَ في الموضوعِ ينظرُ فيهِ الى مكانةِ قائلهِ وتصويرُ القولِ عن مصدرٍ أعلى من البشرِ يدعو الى التبصُّرِ والإحكامِ منتهى الطاقةِ وقد قيل «كلامُ الملوكِ ملوكُ الكلام» لما في كلامهم من السلطةِ فلا عجبَ إذا كانَ الكلامُ عن لسانِ الآلهةِ أعظمَ وقعاً وأجلَّ وضعاً . وقد شعرَ بالأمرينِ معاً فنيلونُ الحبرُ المسيحيُّ فأنشأ كتابهُ «وقائعَ تليماكَ» المعدودَ في المنزلةِ العليا بالبلاغةِ والفلسفةِ على أنقاضِ (٢) الرواياتِ الميثولوجيةِ بل هو نسخةٌ عن اوذيسةِ هوميرسَ مهذبةُ الألفاظِ محرَّرةُ (٣) المعاني دانيةٌ قطوفُ الفوائدِ لطلّابها وهي من الرَّواجِ في نوادي العلمِ والأدبِ على جانبٍ عظيم

أمّا خلطي في الكلامِ بينَ آلهةِ اليونانِ وآلهةِ الرومانِ فلأنّي رأيتُ ذلكَ لبعضِ المؤلفينَ (٤) فجاريتهم إذ كنتُ أتنقّى ما هو أعذبُ لفظاً أو أنسبُ في الوزنِ والرويّ

اما المشقَّةُ التي اعترضتني في عملي هذا فلا يعرفُها الّا من ركبَ مثلَ هذا المركبِ الصعبِ المرجوِّ ان تكونَ ثمارُهُ شهيةً فيرغبَ في اقتنائها الأدباءُ وبذلكَ

(١) الدفعة من الخيل في الرهان (٢) جمع نقض بالضم وهو ما انتقض من البنيان اي تهدم (٣) اي محسنة (٤) كصاحب رواية ابن حور وصاحب تاريخ الحضارة الموسيو شارل سنيوبوس وسواهما

خيرُ تعزيةٍ على ما تكبَّدتهُ من إعمالِ الفكرةِ وتسهيدِ المُقلة وحسبيَ الله وكفى

(١)

مجمعُ الأربابِ في حضرةِ زفس

توطئة — دار الارباب — اجتماعهم — فينيس توغر صدر زفس على البشر — منرفا تسأل لهم المزيد من رحمتهِ — زفس يعلن استقلاله بالتدبير

أرسلِ الفكرَ رائداً للخفايا لا تغرَّنكَ الأمورُ الظواهرْ
كم رأينا منًى تقودُ منايا وعدوًّا في ثوبِ خلٍّ مناصرْ
هذهِ الدارُ دارُ إفكٍ ومكرٍ
وولاءٌ بادٍ وضامرُ غدرٍ
فتقلَّدْ دوماً صفيحةَ فكرٍ
وانقدِ القولَ حين يعرِضُ نقدا فاصلاً بين خالصٍ وزيوفِ [1]

دور

واذا رُمتَ ان تُصيبَ المرامي فتجرَّدْ عنْ عالمِ الأملاءِ
تابعاً قولَ سادةِ الإفهامِ كُلُّ سِرٍّ في الأرضِ ضمنَ السماءِ
من وراءِ المنظورِ ما لا يُنظَرْ
وَهوَ اقوى ممَّا نراهُ وأقدرْ
عرَضٌ ما نرى وما غابَ جوهرْ

(١) الرائد الرسول الذي يرسلهُ القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيهِ . لا تغرنك اي لا تخدعنك وتطمعك بالباطل . المنى جمع مُنية وهي المراد والمنايا جمع منيَّة اي الموت . الافك الكذب . والصفيحة السيف العريض وصفيحة فكرٍ اي فكر كالسيف . وعرض اي بدا . والخالص من الدنانير الصحيح والزيف وجمعهُ زيوف الغير الصحيح وفي القول استعارة كنائية اذ جعل القول دنانير واثبت ذلك بتخيُّل الخالص والزيوف

فلإدراكِ جوهرٍ كن مجِدّاً ... وتوقّلْ متنَ السحابِ اللطيفِ[1]

دور

إملإِ القلبَ خشيةً ووجيبا ... تلكمُ الدارُ موطنُ الأربابِ

وتلفّتْ ترَ اجتماعاً مهيبا ... ترَ زفساً قد حلّ في المحرابِ[2]

بازغُ النورِ أذهلَ الأفكارا

سلَبَ الروعَ أغمضَ الأبصارا

كلُّ هذا الوجودِ منهُ استنارا

ذاكَ نورٌ من وجهِ زفس تبدّى ... لجلا طرّةَ الظلامِ الكثيفِ[2]

دور

كان زفسٌ من فوقِ عرشٍ منيرِ ... وفنيسٌ كذا منزفا أمامَهْ[3]

وعلى الجانبينَ كلُّ قديرِ ... محكمٍ حجّةً عزيزٍ كرامَهْ

وفنيسٌ قالت أرى الأملاء

قد تعالت أعناقهم خيلاء

ملأوا أرضهم ورادوا السماء[4]

فتخطّوا ما سنَّهُ زفسُ حدّاً ... وأرونا أذى العدوّ المخيفِ

---

(١) توقّلَ . صعَّدَ (٢) الوجيب الخفقان . المحراب صدر البيت واكرم مواضعهِ . والطرّة ان تقطع الجارية في مقدَّم ناصيتها كالعلم تحت التاج وقد تضمن الكلام استعارة كنائية عن الظلام بجارية واثبت الطرّة تخيلاً قرينة على المقصود

(٣) اذا أُريد نظم الشعر على النسق اليوناني البحت قيل «واثيناوع نزفت أمامه»

(٤) الاملاء الناس . الخيلاء العجب والكبرياء . وراد المكان تفقد ما فيه ليرى هل يصلح للنزول فيهِ . تخطى الشيء جاوزهُ

دور

رُبمَا وطَأوا مُتونَ السحائبْ　　وعَلَوا يطلُبونَ هذي الديارا

كنزاةٍ مستنصرينَ القواضبْ　　والأنابيبَ كي نذوقَ البوارا

ومنزفا قالتْ ضلالُ ابنِ حوَّا

ملأ الارضَ كلَّها والجوَّا

فلْنبِدْ كلَّ ما تمثّلَ دجْوا

لِيرَوا مسلَكَ الفضيلةِ قصْدا　　ويهيموا بكلِّ قصْدٍ شريفِ [1]

دور

زَفسُ صيِّرْ أرُوضَهم دارَ خُلدِ　　وأنشرِ الفضلَ بينهم والعفافا

مُدنِيًا منهمُ مناهِلَ رُشدِ　　فيحِبُّوا الوِئامَ والإنصافا

فنراهُمْ مثلَ الملائكِ طُهْرا

يُحسِنونَ الأعمالَ سِرًّا وجهرا

حسِبوا زاهِرَ الشمائلِ دُرًّا

---

(١) وطَّأ الموضع جعله وطيئاً · والمتون جمع متن ومتنا الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم · وتخييل المتن للسحائب استعارة كنائية بجعل السحائب جياداً او من باب التشبيه المؤكد اي السحائب كالمتون · والقواضب جمع قاضب وهو السيف القاطع · والانابيب جمع انبوبة وهي تُطلَق على الرمح من باب تسمية الشيء بما كان عليه ومثله قول ابن سيراخ الابنة المحتشمة تستحي من زوجها · والمتزوجة تكون امرأة فدعاها بنتاً تسمية بما كانت عليه · وكقول ورقاء ابن زهير العبسي

فشلَّت يميني يوم اضرب خالداً　　ويمنعهُ مني الحديدُ المُظاهرُ

اراد بالحديد الدرع · والقصد المستقيم · وهام به احبه

وأُنتقوا جوهرَ الكرامةِ عِقدا   فغدا الليثُ منهم كالخروفِ [1]

دور

وفنيسُ عادت تؤيّدُ ما قدْ   ذكرتهُ تُثيرُ سُخطَ النفوسِ

ومنرفا قد حاربت كلَّ مقصدْ   يبتغي نيلَهُ فؤادُ فنيسِ

فغدا زفسُ حائراً ذا التباسِ

بينَ قصدِ المُنى وقصدِ القياسِ

كيفَ يجري أحكامهُ في الناسِ

أيُصيرُ الدنيا الدنيَّةَ خُلْدا   او جحيماً تُبيدُ شملَ الأُلوفِ [2]

دور

أيُعادي فنيسَ ذاتَ الجمالِ   مَن لها مَظهرٌ يسرُّ الجنانا

ام منرفا ذاتَ النُّهى والكمالِ   من بها سادَ هذهِ الأكوانا

بينَ حكمِ الهوى وحكمِ ارشادِ

باتَ زفسُ المولى شريدَ الفؤادِ

فرأى ان يَفُضَّ عقدَ احتشادِ

---

(١) ادنى الشيء قربه · والمنزل المورد · ومناهل الرشد اما استعارة كنائية بجعل الرشد روضة فاثبت لها المورد او تشبيه الرشد بالمنهل والاول ابلغ · الوئام الموافقة · والانصاف العدل · والليث استعارة للقوي والخروف استعارة للضعيف السليم النية

(٢) في هذا الدور مغاز كثيرة منها ان الاعتماد على رأي الآخرين يضيع السبيل ويحير العاقل · ومنها ان القدرة العظيمة آمرة غير مأمورة فليس لاحد تدبيرها كما يشاء · ومنها ان الدنيا هي لصاحبها جنة ان احسن المسير وجحيم ان نهج في ضلال · يبتغي يطلب وهذا الفعل مشتق من البغي الدال على الجور · وقصد المنى اي سبيل المنى · واصاره صيره ·

قالَ يكفي إني سابحثُ فرْدا ثمَّ إني أُجري عِنانَ الصُّروفِ [١]

---

(٣)

صَرحُ منرفا [٢]

منرفا في قصرها — ساحة القصر — عنوانه — حديقته — منرفا ووصيفاتها يتباحثن — القول ان جنس النساء هو العامل الاكبر لسعادة البشر وذلك بالمسعى الجليل والبال الطويل

سارت منرفا تقصدُ المَنزِلا بطيئةَ الأقدامِ شأنَ الرَّزانْ
فأتبعْ خُطاها تَبلُغِ المأمَلا اذا خَطَونا في صُروحِ الجِنانْ
كم مشهدٍ هناك يسبي العقولْ [٣]

هبّت نُسيماتٌ منَ القصرِ عليلةٌ فائحةُ العِطْرْ
مملوءةٌ من نافخِ البِشرِ كأنّنا نرشفُ من خَمْرْ
كؤوسُها تجلو الحِجى لا الذُّهولْ [٤]

---

(١) عنان الصروف · جعل الصروف جواداً فتخيل له العنان · هذا الدور تفصيل لما جاء في الدور السابق (٢) منرفا الرومانيين هي اثينا اليونانيين وتلقب بالاهة الحكمة وربة الفنون الحربية كان جمالها طبيعياً خالياً من التحسين وكل ما فيها كان موقراً يدل على القوة زعموا انها ولدت من زفس اذ آلمه راسه فشقه بفاس صنعها له هيفست فخرجت منه بالاس · ومن علاماتها البومة رمز التامل والديك مثال النباهة والزيتون رمز السلام والحية رمز الحكمة (٣) الاقدام الخطوات من باب تسمية الشيء باسم فاعله ومثاله قول داود النبي «أنصت الى صلاتي بشفتين غير غاشتين» اي بكلام غير غاش · الرزان الرزينة في مجلسها · الصرح القصر وكل بناء عالٍ

(٤) النافح الفائح والبشر السرور · ونافح البشر اما من الاستعارة الكنائية انزالاً للبشر منزلة المسك واما للتشبيه المؤكد · الحجى العقل

فَساحةُ القصرِ علاها الحصى أشبهَ بالاصدافِ في مُتحفِ
تَنسيقُها الجميلُ باهي الرُّوا لم تَرَهُ عينٌ ولم تُشغَفِ
مثّلَ فيها أنهُرٌ في سهولْ (١)

وانظرْ الى البابِ الرفيعِ العِمادْ خُطَّ عليهِ بضيا لا مِدادْ
بخشيةِ المولى بلوغُ المُرادْ لا تَعصهِ في يقظةٍ أو رُقادْ
تجِدْ نجاةً من حبولِ الحُبولْ (٢)

وادخلْ الى الروضةِ ذاتِ الشذا اشجارُها عرائسٌ في بُرودْ
وبُسطُ الأزهارِ مِلءَ الثرى أمّا الجنى فدُررٌ في عقودْ
ولا نرى كفًّا اليها تطولْ

ولُجْ بنا داخلَ ذاكَ البناءْ دارِ التُّقى والنُّبلِ والانقياءْ
تجِدْ رُسومـاً فضلَت بالبهاءْ قـد صوَّرت لنا نعيمَ البقاءْ
سيرةَ طُهرٍ واُجتنابَ الفُضولْ (٣)

---

(١) الروا حسن المنظر . وشُغف جُنّ حباً . ونسبة الشغف الى العين وهي الى القلب من باب نسبة الشيء الى صاحبهِ او مصاحبهِ وهو باب متسع منهُ قول الجميع من شعراء المفضليات

سائلْ معدًّا عن الفوارس لا أوفوا لجيرانهم ولا غنموا
يعدو بهم قرزلٌ ويستمع النا س اليهم وتخفق اللممُ

يريد بقرزل صاحبها الطفيل العامري والد عامر ابن الطفيل . فنسب قيادة الفوارس الى الفرس مجازاً . وقد يكون وضع كلمة عين موضع كلمة قلب من باب المجاز بذكر الشيء باسم مصاحبه كقول المخلص ضعوا هذا الكلام في آذانكم (لو ٩ : ٤٣) اي في قلوبكم . وكقول الشاعر «حساماً مفرداً من حمائل» اي من غمد (٢) المداد الحبر. وحبول الاولى جمع حبل الرباط والثانية جمع حبل بكسر الحاء الداهية (٣) جمع فضل وقد استعمل استعمال المفرد في ما لا خير فيه ولا يعني صاحبه الاشتغال به فجمل علماً لهذا المعنى ولهذا انزل منزلة المفرد

وأنظرْ الى الرَّدهةِ فيها انتظَمْ مجلسُ فضلٍ نورُهُ ذو انبعاثْ
ترئسهُ بالاسُ ذاتُ الحِكَمْ وقربَها ثوتْ عذارى ثلاثْ
يقُلْنَ قولاً بهِ ريُّ النهولْ (١)

هنَّ حياهْ ونَشاطٌ أناهْ جرَّدْنَ من مُصيبِ رأيٍ شباهْ
يطْلُبْنَ بالبحثِ نَميَّ الحياهْ وكَبحَ شرِّيرٍ عظيمٍ أذاهْ
إذ لم يزَلْ بينَ البرايا يصولْ (٢)

فلفظتَ بالاسُ إنَّ الملا قد أُوجدوا عن رَحمةٍ لاانتقامْ
ومُنحوا حُرِّيةً يجتلَى بهــا سُعودٌ وسَعيرٌ ضِرامْ
منهما تقيٍّ وشقيٍّ جهولْ (٣)

مــا منِحوا حُريَّةً عدْلُ إذ لِصنيعٍ يحسُنُ البَذلُ
فصالحٌ جزاؤُهُ فضلُ وطالحٌ جزاؤُهُ وبْلُ
من الرَّزايا الدائماتِ الهطولْ (٤)

ولفظتْ حياهْ جنسُ الفتاهْ هو الَّذي يفتحُ بابَ النعيمْ
منهُ يُرجَى السعيُ لامن سواهْ لكي يزولَ كلُّ مبدا ذميمْ
ينجمُ عنهُ كلُّ شرٍّ يهولْ (٥)

---

(١) الردهة البيت الذي لا اعظم منهُ · وبالاس هي اثينا اي منرفا والري من الماء كالشبع من الطعام ونهول جمع ناهل اي الظمآن (٢) الشباة من السيف القدر الذي يقطَع بهِ ويراد به هنا السيف من باب تسمية الكل باسم جزئه ومثاله قول الانجيل « والكلمة صار جسداً » اي انساناً وقول القرآن ومن قتل مؤمناً خطاء فتحرير رقبة اي تحرير انسان · والكبح الجذب للايقاف والرد (٣) السهم النصيب (٤) اي ان اعطاء الحرية امرٌ عادل لان الجزاء يجب ان يكون من جنس العمل فالذي اظهرتهُ اعمالهُ صالحاً جزاؤهُ الفضل والذي اظهرتهُ طالحاً جزاؤهُ الشقاء · والوبل المطر الشديد الضخم القطر (٥) حياء ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث · ونجم نتج

ولفظت نشاطُ سعيُ الإناث　　هو الذي يولي الذكورَ الغياث

ويبعثُ الهمةَ أيَّ انبعاث　　فيُصبحُ البيتُ غنيَّ الأثاث

والوفقُ في القلوبِ مولى حلول[1]

ولفظت أناةُ هجرُ اللغا　　عمّن أساءَ السعيَ يولي السلام

فترتعُ الناسُ بمرجِ الهنا　　ويقشعُ اللطفُ ضبابَ الخصام

ما غبُّهُ الوخيمُ مثلُ السيول[2]

. . . . .

قالت بلاسُ إنَّ هذا صواب　　فاستتبعوا القولَ لرفعِ النقاب

ولنجعلِ المنحى لبابَ اللُّباب　　ننجُ بذا من لفظِ قولٍ لغاب

وصرفِ أوقاتٍ ببحثٍ يطول[3]

قالت حيالا نفقاتُ النساء　　هيَ التي تقودُ للموبقات

إناقةُ الملبسِ إسُّ الشقاء　　تُعنى بها البناتُ والثيّبات

وهيَ التي تدعو المغاني طلول[4]

قالت نشاطُ إنَّ هجرَ العمل　　أوّلُ داعٍ لالتماسِ الحلل

ثمَّ لكي يتمَّ نيلُ الأمل　　يُختلقُ المكرُ وتأتي الحيل

تعبثُ بالأفهامِ مثلَ الشمول[5]

---

(١) الاثاث هو ما جدَّ من متاع البيت　(٢) اللغا الكلام الذي لا يعتدُّ به . وضباب الخصام اي الخصام كالضباب وقد استعار للطف استعارة كنائية فجعله شمساً وذلك بتخيله انهُ يقشع ذلك الضباب . الغب عاقبة الشيء . الوخيم الوبي.

(٣) القول اللغاب الكلام الفاسد　(٤) الموبقات المهلكات . الاناقة الحسن المعجب . وعني فلان على المجهول بحاجة أهمته . والثيبات المتزوجات　(٥) الشمول الخمر . والحيل يراد بها الاقوال الخادعة

يـا حبذا لو فقهت كلُّ من ... تَسودُ بيتاً ما مَجاني الكَسَلْ
وداوتِ الداء لكانت إذَنْ ... تكسو الملا ثوبَ النعيمِ الاجلْ
ولا نرى قوماً ثوَوا في خمُولْ(١)

قالت أناةٌ في لُبوسِ الوقارْ ... كلُّ النجا من سيِّءٍ او خسارْ
يَدفعُ عمَّن يَرتديهِ المضارْ ... ويَجعلُ الزَّوجَ بكلِّ افتخارْ
يقولُ زوجي من كِرامِ الأُصولْ(٢)

. . . . .

فلفَظتْ بالاسُ نِعمَ المقالْ ... ها كُشِفَ الرَّيبُ وبانَ الصُراخْ
إذهبْنَ علِّمْنَ ذواتِ الحِجالْ ... كلُّ الذي قُلتنَّ نجْنِ النَّجاحْ
ونبتهجْ قلباً بإدراكِ سُولْ(٣)

علِّمْنَ انَّ الحسن ثوبٌ ستيرْ ... لا فرقَ في قُطْنيِّهِ والحريرْ
لا زُخرُفٌ كهالةٍ يستديرْ ... ولا مُجاراةٌ لزِيٍّ أخيرْ
ولا نُقيِّدُ بطولِ الذيولْ

. . . . .

أتَسْمَعُ الغاداتُ هذا القرارْ ... فهوَ قرارٌ من حِسانِ السماء
إنْ حلَّ عِندَهُم محلَّ اعتبارْ ... تُصْبِحُ دُنيانا كدارِ البقاء
هل يا ترى ذلكَ داني الحصولْ

---

(١) فقهت فهمت · من تسود بيتاً اي كل امرأة ربة بيت · وثوى استقر

(٢) الزوج يطلق على كل من الذكر والانثى · ومن كرام الاصول اي ذات نسب شريف

(٣) الحجال جمع حجلة وهي كلَّة تضرب للاستظلال بها · وذوات الحجال النساء · والسؤل ويخفف ما سألته

(٣)

حِمى فينيس

مجلس فينيس واموري وباخوس [1]

مجلس السرور — حديث الوفاق بين فينيس واموري وباخوس — حديث الجدال — الاختلاف — حديث الخصام — ارفضاض المجلس — السرُّ الخفيّ في شقاء البشر

هيّاً بنا الى حِمى فينيسِ ... لِنَسمَعِ ما دارَ منَ الرَّسيسِ
بينَ نَشيدِ العودِ والكؤوسِ ... إذْ لم تُدِرْ أناملٌ عُقارا
إلاَّ جَلَتْ ألسِنَةٌ أسرارا [2]

حذارِ أن تَرمقَكَ العيونُ ... فهكذا تحتجبُ العيونُ
وربّما طافت بنا المنونُ ... إنْ ادركوا لظلّنا استقرارا
اذن فكنْ مكتسياً حذارا [3]

أنظرْ الى المجلِسِ كيفَ انتظما ... في صدرِهِ الأربابُ ثمَّ النُّدما
وشاهِدِ الأتباعَ حتى في السَّما ... أقدامُهم لا تعرفُ القرارا
وجوهُهم قد شكتِ اصفِرارا

تَصدَّرت مجلِسَها فينيسُ ... ثمَّ اموري إثرَهُ باخوسُ
وبرزتْ من خِدرِها الكؤوسُ ... ثمَّ ندامى تضرِبُ الأوتارا
وتُنطِقُ الصنوجَ والقيثارا [4]

---

(١) فينيس هي قبريس او عفرذيت اليونانيين . واموري ابنهـا من باخوس اله المسكر الذي هو ذيُون او ذيونيس اليونانيين (٢) الرسيس الخبر لم يصحّ . والعقار الخمر (٣) العيون الاولى المثل والثانية الجواسيس والمنون المنية (٤) الخدر ستر يمدّ للجارية في ناحية البيت وفي الكلام استعارة كنائية عن الكؤوس بالعذارى فتخيل الخدر ومن هذا النوع قول ايوب ايامي انطفأت فانهُ كنى عن عمره بالسراج

لمّا اداروا مِسكةَ الدِنانِ بين نشيدِ العودِ والألحانِ
حلَّ السرورُ صَفَدَ اللِسانِ نخلتهُ مُطهَّمًا أغارا
وظلَّ يطوي نُجُدًا وغارا (١)

قالت فينيسُ: السمعُ كم من هلكه زوالُها بالفِكرةِ المُشتركه
انَّ اتفاقَ الرأيِ إسُّ البركه فلنخترِطْ من فِكرةٍ شِفارا
صقيلةً لنُسهِدَ الأفكارا (٢)

يا خُلتي لن يُعبدَ الجمالُ إلّا اذا تسلّطَ الضلالُ
وعمَّمَ الغرورُ والمحالُ وباتَ أربابُ النُهى حيارى
في ظُلمةٍ وجاوَزوا المَنارا (٣)

يا صَحْبِ إن صحَّ الصحيحُ انجابا عنِ الورى ما يُذهِلُ الألبابا
واتَّبعوا الحِكمةَ والآدابا فلَن نرى مجدًا ولا وَقارا
ونكتسي من ذِلَّةٍ دِثارا (٤)

قال اموري صُغْتِ يا أُمَّاهُ عِقدًا نفيسًا لامعًا سَناهُ

---

(١) المسكة القطعة من المسك وقد استعارها للخمرة • والصَفَد الوثاق وجملة حل السرور صفد اللسان يراد بها اطراح التعقل وطوى سار سيرًا سريعًا ونجد جمع نجد بفتح فسكون وهو ما اشرف من الارض وغار من غار في الشيء اذا دخل فيه (٢) اخترط السيف استله
(٣) الخلة الصديق للذكر والانثى والواحد والجمع . والمحال مصدر ماحله بمعنى ما كره وكايده اي المكايدة والماكرة • والمنار محجة الطريق • ومجاوزة المنار اي تخطي المنهج السوي (٤) انجاب انكشف • الاداب بعض الحكمة فذكرها اثرها من باب ذكر الخاص بعد العام ومن امثاله قول عبدالله ابن الرقيات

يتقي اهلها العيون عليها فعلى جيدها الرقى والتميمُ

فالرقية كل عوذة والتميم خرزة تؤخذ عوذة • والوقار العظمة • والدثار ما فوق الشعار من الثياب ويراد به الثوب ايًّا كان فهو من باب ذكر الخاص وارادة العام

لم يَخْطهِ الرُّشدُ ولا عداهُ إني مُتابعٌ لِمَا أشارا

ما تابعت أصائلٌ أسحارا (١)

أيستَبِدُّ فاترُ الجُفونِ إلاَّ بِقَلبِ الجاهلِ المفتونِ

يُسامِرُ النُّجومَ في الدُّجونِ ويبتغي في يومِهِ الديارا

لكي يفيضَ مدمعاً مِدرارا (٢)

وقالَ باخوسُ ارى الرَّشادا هو الذي يحرِمُني الأمجادا

فلا أرى لِخَمرةٍ عُبَّادا أحمِلُهم ان يمتطوا أوزارا

ويهبطوا الى لظى قَرارا (٣)

قالَ فنيسُ أَجدُ التَّضليلا وَسيلةً لنبلُغَ المأمولا

نُري الورى نَهجَ الأذى جليلا مَن نهجوهُ يغتدوا أسارى

قد لبسوا الفاقةَ والصَّغارا (٤)

فاستمعوا ما قُلتُهُ واتَّبعوا إشارتي نفُزْ بما نَنتَجِعُ

لي الصَّولةُ الكُبرى فمَن لا يخضَعُ لِصَولتي أَلبَستُهُ إسارا

وحرَمتُهُ قُدرتي انتِصارا (٥)

انيَ قد فُقتُكما مَقاما ولم أزلْ ظافرةً مَراما

---

(١) الاصائل جمع الوقت بعد العصر الى المغرب والمراد هنا من احتجاب النور كما اراد بالاسحار زمن انتشار النور (٢) المسامرة التحديث ليلاً والدجون الظلمة . والمدرار من صفات العين يقال عين مدرار فذكرهُ المدمع من باب ذكر الشيء باسم مفعولهِ كما قال اليازجي رأى الطلاطم دمعي فسالا . اي عيني لأن الروية للعين لا للدمع

(٣) امتطاه علا مطاهُ اي ظهره والاوزار الآثام وفي الكلام استعارة كنائية ولظى معرفة اسم لجهنم (٤) الفاقة الفقر والحاجة . والصغار الذلة (٥) الإسار ما يشدُّ بهِ الاسير والبسه اساراً كناية عن الإذلال . وانتجع طلب

أَستعبِدُ الفتاةَ والغلاما إنْ شاهدا من قامةٍ خطارا
أوْ أبصرا من مقلةٍ سحّارا

إنَّ أشدَّ عاملٍ جمالُ يُغْرِي بما ليسَ لهُ منالُ
فتنتضى لنبلهِ النصالُ تشهيرُها يؤججُ الشجارا
فيلتظي كلُّ فؤادٍ نارا (١)

قالَ اموري أنا سيدُ الورى ما زلتُ أملكُ الحشى والفكرا
كم من فتًى كالشمعِ ذابَ سهرا يبكي جوًى وينظمُ الأشعارا
ثمَّ ببطنِ حفرةٍ توارى (٢)

لا عجبٌ والنظرُ المنحرفُ يحدثُ منهُ في القلوبِ الشغفُ
والنفسُ نحوَ المشتهي تنصرفُ لا تختشي هولاً ولا شنارا
فتحدثُ الشرورَ والأضرارا (٣)

وقالَ باخوسُ انا ربُّ البشرْ كلٌّ بما أرضى بهِ قدِ ائتمرْ
أصوبهم من نكباتٍ كالمطرْ ساقتْ على جسومِهم دمارا
واكتسحتْ ديارَهم بوارا (٤)

ألمْ تروا أنَّ احتساءَ الاكؤسِ يطفئُ نورَ حكمةٍ في الأروسِ
وتستطيلُ شهواتُ الأنفسِ فأستسهلت مراكبًا أوعارا

---

(١) اغرى بالشيء اولع به . انتضى السيف استلَّهُ من غمدهِ . تشهيرها استلالها اجج النار اوقدها . والشجار المشاجرة (٢) الحشى ما دون الحجاب مما في البطن من كبدٍ وطحال وكرش وقد أُريدَ به الكبد او القلب ومن ذلك قول الفارض « وارحم حشى بلظى هواك تسعَّرا » وتوارى غاب (٣) الشنار اقبح العيب والعار

(٤) ائتمر امتثل . وصابت السماء الارض جاءتها بالمطر . الدمار الهلاك . واكتسح دياره اخذ ما في دارهِ كله . والبوار الهلاك وهو هنا مفعول لاجلهِ

وأن تَسِيلَ من دمٍ أنهارا (١)

وبَعدَ ذاكَ عظُمَ اللجاجُ   فثارَ مـا بينَهُمُ الهياجُ

كالبحرِ لمَّا ثارتِ الأمواجُ   يا عجباً إني أرى الأشرارا

عُدىً وإن حلُّوا السماء دارا (٢)

تبدَّلَ النشيدُ بالوعيدِ   والأُنسُ بالقذفِ وبالتنديدِ

مـا خِلتني بينَ ذوي الخُلودِ   بل بينَ قومٍ خلَعوا العِذارا

وأبرزوا عيوبهم سكارى (٣)

قال اموري أنتِ يا أُمَّاهُ   لولا انا عدا جمالكِ الجاهُ

الحُسنُ خُلقٌ فائحٌ ريَّاهُ   ليسَ الجمالُ منظراً غرَّارا

وكبِدًا تماثِلُ الأحجارا (٤)

وقال باخوسُ ايا اموري   شأنُك مما أولدت خُموري

تزينُ متنَ الجهلِ للمغرورِ   فيستطيبُ وهمَهُ ثِمارا

ويكتسي شقاءهُ شِعارا (٥)

قالت فنيسُ : أصغيا واستمعا   لحظيَ يدعو كلَّ راءٍ ولِعا

وبدرُ وجهي نورُهُ ما طلَعا   الاَّ استبى بحُسنهِ الأنظارا

---

(١) الاحتساء الشرب شيئاً بعد شيء · الوعر ضد السهل (٢) اللجاج تماحك الخصمين · وفي هذا الدور حقيقة جديرة بالتنبيه اليها (٣) العذار الحياء وخلع العذار التصرف المعيب · والعذار ايضاً الرسن وخلع العذار من باب الاستعارة الكنائية انزالاً للعاقل منزلة الدابة الغير العاقلة (٤) الكبد عضو مخلوق لافراز الصفراء ولكن العرب اعتبروهُ مقراً للشواعر الروحيَّة وقالوا عن الاعداء سود الاكباد اشارة الى رداءة نياتهم ويقال كبد قاسية دلالة عَلَى البغضاء وفقد الحنان (٥) الشعار الكساء الذي يلي الجسد

فذاق كلُّ ناظرٍ خُمارا (١)

لو لم يكُنْ عِشقٌ ولا مُدامُ　　لَمَا عداني المجدُ والإكرامُ
إذ فائقُ الحُسنِ لهُ احترامُ　　مُنذُ برا ربُّ الورى الأدهارا
وخلَقَ الأفلاكَ والأنوارا

وسار باخوسُ كذا اموري　　بِسَخَطٍ كمُضرَمِ السعيرِ
كلٌّ يقولُ البُؤسُ مِنْ تدبيري　　انا الذي سامَ الورى خسارا
فخوًّ ان أُجلبَبَ الفخارا (٢)

بعدئذٍ عادَ انتظامُ المجلسِ　　وكرَّرتْ فينيسُ حسوَ الأكؤُسِ
ومِن بلوغِ أملٍ لمْ تيأسِ　　قالت أنـا لا أبتغي أنصارا
لابُدَّ لي أنْ أُدرِكَ الأوطارا (٣)

سُوفَ أُريهم جمالَ المَنظرِ　　يفتكُ بالأحشاء فتكَ الأبترِ
يدعوهمُ الى ذميمِ الأثرِ　　إني إن سمتُ الورى احتقارا
أزدادُ في نفوسهم وقارا

جنسُ النساء هوَ مَلْكُ الكونِ　　تُسعدُهُ الرَّزانُ ذاتُ الصونِ
تُتعسُهُ الحمقاءُ ذاتُ الرينِ　　هذي عمادي وبهـا استنارا
عرشي العظيمُ السالبُ الأبصارا (٤)

إني أُريها الحُسنَ عندَ الناسِ　　إناقةَ الحِليةِ والإلباسِ

---

(١) الخمار ما يصدع الراس بعدشرب الخمرة والمراد الخمرة نفسها من بـاب ذكر الشيء باسم المسبب عنهُ كقول ارميا النبي (٣:١٠) فرائض الامم باطلة لانهـا شجرة يقطعونها من الوعر اراد آلهة الامم بدليل تفسيرها بالشجر والفرائض انما جاءت عن الديانة

(٢) سامه الأمر كلّفهُ · وجلببه البسه الجلباب وهو القميص　(٣) الاوطار المـآرب　(٤) الصون الحفظ · الرين العيب

فيبتلى المُقِلُّ بالإفلاسِ يهينُ عنده الرَّدى والعارا
ما يشتكي لفقرهِ اضطرارا (١)

وصاحبُ اليسارِ ذواحتسابِ من شرِّ عقبى او أخو تصابي
مولَّهٌ بالمنظرِ الخلّابِ اذا الكواعبُ انجلت أقمارا
أوجههنَّ طفحت أنوارا (٢)

مِن زِيِّ الغيِّ والتهتُّكِ ما هوَ للأغرارِ مثلُ الشَّرَكِ
يقودهم الى البلاءِ المُهلِكِ هذا الذي يعبِّدُ الأغرارا
فلا ترى بينهمُ أحرارا (٣)

أمَّا الغواني فسحابُ البوسِ يهمي عليهنَّ منَ الملبوسِ
إذا جررنَ ذنبَ الطاووسِ يجنينَ باكتسائهِ الأضرارا
عمَّت كبارَ الناسِ والصغارا (٤)

انَّ الذيولَ تجلبُ المكروبا الى الحمى فترتعي القلوبا
وهيَ التي أثارت الكروبا إذ حصدت كمنجلٍ أعمارا
كم برجِ جسمٍ بأذاها انهارا (٥)

طولُ الذيولِ أكبرُ الرزايا ضررهُ يعمُّ في البرايا
يستقدمُ السقامَ والمنايا به انتقامي يشملُ الكبارا
كنقمتي ممن شكا إعسارا (٦)

---

(١) الاناقة الحسن المعجب . المقل الفقير . أهانه استحقره (٢) اليسار الغنى
(٣) عبّده اتخذه عبداً (٤) الطاووس طائر شهير بطول ذنبه الجميل والمراد بذنب الطاووس الاثواب ذات الذيول الضافية (٥) انهار انهدم (٦) الكبار الكبير شأناً والمراد به الرجل الغني

ثمَّ ارتأتْ فينيسُ فضَّ المحفلِ فسار كُلُّ سامرٍ لِمَنزِلِ
ياصاحبي دَعْ ذا المُقامَ وارحلِ إنَّا سنَروي لِلورى أخبارا
تضمُّ ما فيهِ الحديثُ دارا

. . .

أيَّتها الحسناءُ هذا ما جرَى فاجتلِبِي الخيرَ وكُفِّي الضَّررا
لا تُبلِغي فينيسَ منَّا الوطَرا وعَن منرْفا اقتبسي الأفكارا
يملأُ أريجُ فضلِكِ الأمصارا(١)

---

(٦)

هرمس في نادبهِ(٢)

نصائح هرمس لإنارة سبيل الحياة

قصر هرمس — زينة القصر — الجماهير في نادبهِ — خطاب هرمس — انفضاض المجلس

قِفْ قَبلَ أن ندعَ المَقامَ ونرحَلا
إني بأمِّ العينِ أُبصِرُ معقِلا
زُرهُ أظنُّ به تنالُ مؤمَّلا

---

(١) اقتبسهُ استفادهُ. الأريج فواح ريح الطيب. واريج فضلك اما من باب التشبيه المؤكد اي فضلك كالاريج واما من الاستعارة الكنائية فقد جعل الفضل طيباً وتخيل له الأريج. والأمصار جمع مصر اي الكورة او المدينة (٢) هرمس او هرميس اليونانيين ومار كير اللاتينيين هو عطارد اله البلاغة ورسول الآلهة ورسول زفس بوجه اخص ولذلك لما كان برنابا وبولس في لسترة وشفى احدهما بولس المقعد من بطن امهِ حسبهما الناس من الآلهة فظنوا برنابا زفساً اما لأنهُ ظل ساكتاً واما لانهُ كان اكثر مهابة وحسبوا بولس هرمس لانهُ اجرى الشفاء كما يعمل الرسول باشارة مرسلهِ

مَـا كلُّ آونةٍ نَسيرُ الى السَّما

ونزورُ ذَيَّاكَ الحِمى نِعمَ الحِمى

نَجني المغانمَ لا نُصادِفُ مغرَما

ونُصيبُ من فَيضِ الفوائدِ منْهلا [1]

صَرحٌ تَطوفُ بهِ النَّسائمُ سارِحَهْ

فتعودُ كاسيةً ذكيَّ الرائحَهْ

فكأنَّما الأطْيابُ منهُ نافِحَهْ

أركانُهُ منحوتةٌ من مَرْمَرِ

وُضِعت على شكلٍ بديعِ المَنظرِ

وسقوفُهُ زينت برسمِ المُشتري

زَفسَ المُعظَّمِ رَبِّ أربابِ العُلى [2]

فيهِ سُطورُ التِبرِ آياتُ الهُدى

تُروي بفَيضِ زُلالِها العذبِ الصَّدى

هِيَ خمرَةُ الخُلدِ الشهيَّةُ مورِدا

من ذاقَ من جاماتِها نالَ الخُلودْ

---

(١) المعقل الملجأ. والام من كل شيءٍ اصلهُ فام العين الناظر

(٢) الاطياب جمع طيب وهو كل ذي رائحة عطرة كالمسك والعنبر. المرمر الرخام او ضرب منهُ اصلب واشد صفاء · زفس كان ربًّا للارباب لانهُ كان قابضًا اعنَّة الحكم فليس لاحد الآلهة ان يتصرف الا بمشيئته او بسماح منهُ · وتزيين هرمس سقوف منزله بصورة ابيهِ زفس فيهِ بيان ان كرامة المرؤوس هي باجلال شان رئيسهِ

بمراتبِ الأَرباب في دارِ السُّعودْ
هاتِيكَ أشهى نِعمةٍ ترجو الكُبودْ
لم يَحكِها عرشٌ رفيعٌ لا ولا (١)
ولقد ترشَّفها بـأَمنٍ كلُّ مَنْ
لِهدايةِ العقلِ السليمِ قد اطمأَنْ
فقلَى الهوَى واختارَ هاديَ الفطَنْ
فرأَى السُّطورَ بدَتْ لعينِ بصيرتِهْ
« خفْ ربَّكَ الأَعلى وسِرْ بوصيتِهْ
وترجَّ عِصمتَهُ وعِشْ في خيرتِهْ
فتبيدَ دُونَ حِماكَ عاديةُ البَلا (٢)
لا تركبَنَّ مِنَ الأَماني مركبًا
يَقتادُهُ بغُرورِهِ حادي الصبا
كلُّ أمرِىءٍ تخِذَ المُنى طِرفًا كبا

---

(١) التبر الذهب والفضة او فتاتهما قبل ان يصاغا · الصدى الظما · الجام اناء من فضة من كاس ومشربة ونحوها · والمراد بالجام الخمرة نفسها من باب تسمية الشيء باسم محلِّهِ ومثله الآية « من اين كانت معمودية يوحنا من السماء ام من الناس اي امن الله ام من الناس · وقوله لا ولا اي لا هو ولا سواهُ من باب الايجاز · وفي هذا البيت ايضاح لخمرة الخلد التي امتدحتها الشعراء وجعلوها طعامًا وشرابًا وكساء ودواء فقال انها هي الحكمة ليس الأ وقد دعا تلك الحكمة سطور التبر استعارة والجامع بينهما البهاء والنفاسة

(٢) قلى الشيء كرههُ غاية الكراهة وتركهُ · والهوى ميلان النفس الى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع · العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكُّن منها · والخيرة الاسم من قولك خار الله لك في هذا الامر

فاصرِفْ عِنانَ النفسِ عن شَهَواتِها
تَجِدِ النَّزاهةَ مُستَطابَ حياتِها
وتَصِبْ بِطُهْرٍ سَجِيَّةٍ لَذَّاتِها
واحذَرْ لِسانَكَ ان يَفُوهَ ويَخطَلا (١)

طِرْفُ اللِسانِ اذا أُنيطَ بهِ القِيادْ
ضَلَّ السبيلَ وحادَ عن سَنَنِ الرَّشادْ
فترى أحَبَّ الصَّحْبِ أعداءً لِداذْ

يـا صاحِ لا تَهَبِ اللِسانَ زِمامَهُ
فيُرِيشَ في صَدْرِ الأَنامِ سِهامَهُ
ويُرِيكَ منهُ صَولَهُ وعُرامَهُ
فتَفِيضَ عيناكَ السحائبَ هُطَّلا (٢)

هذي السُطورُ تألَّقت في نادِ

---

(١) الحادي السائق · وحادي الصبا اي الصبا كالحادي · والصبا الاسم من صبا والمراد بهِ الخفَّة · الطِرف هنا الكريم من الخيل · وكبا انكبَّ عَلَى وجههِ اي عثر · وعنان النفس · في العبارة استعارة كنائية بذكر النفس وارادة الجواد وقد تخيل العنان دلالة عَلَى تلك الاستعارة وخطل تكلم بكلام كثير فاسد

(٢) أُنيط بهِ عُلِق بهِ · القياد المِقود والمراد الادارة والتصرف من باب ذكر الشيء باسم آلته ومثالهُ يد الرب كانت معه (لو ١ : ٦٦) اي قدرة الرب فان اليد آلة القدرة وقول الاعشى : ولست بالاكثر منهم حصى · وانما العزة للكاثرِ اراد بالحصى العدد اللداد جمع الد وهو الخصم الشحيح الذي لا يزيغ الى الحق · والصول القهر · والعرام الشراسة والاذى · وفيض الدمع كناية عن الندم والندم كناية عن وقوع الاذية

مغنى الضُيوفِ ومُنتحَى الوُفَّادِ
قَدِمـوا لورْدِ نَبالةٍ وسَدادِ

إذ فائضٌ كالشَّهدِ منطِقُ هرمسِ
رَبِّ الحَصافةِ واتِّقالِ الأنفسِ
وكأنَّما مِسكٌ يُدارُ باكؤُسِ
نفثاتُهُ من فوقِ منبرهِ تلا[1]

أُنظُرْ تَرَ الجمَّ الغفيرَ اُستقدِما
بِسَكينةٍ ولِواهُ صَمتٍ خيَّما
وعَلا عطاردُ منبرًا يُروِي الظَما
بنصائحٍ كالرَّوحَ والرَّيحانِ
حلَّت محلَّ الرُوحِ في الجُثمانِ[2]

---

(١) تألق النم · ومنتحى اي محلّ قصد · وقدموا جاءوا والورد الاسم من ورد الشراب · الحصافة استحكام العقل · والمسك مستعار منهُ والمستعار له هو الخمرة وقد ذكر الاكؤُس المناسبة للخمر وهو تجريد ومثاله قول الفرزدق

متوج برداء الملك يتبعه موجٌ ترى فوقهُ الرايات والقترا

اراد بالموج الجيش استعارة فذكر الرايات المناسبة للجيش دلالة عَلَى الجند · والنفثة في الاصل ما تلقيهِ من فمك مرة واحدة ثم استعير للشعر

(٢) الجم الغفير اي الجمع المديد · ولواه صمت اي الصمت كاللواء · يروي الظما اي يبث الفوائد فشبه الجهل بالظما وجاء بالارواء ترشيحًا ومن ذلك يحزمون احمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها عَلَى اكتاف الناس وهم لا يريدون ان يحركوها باصبعهم (مت ٢٣: ٢ — ٥) اراد بالاحمال احكام الشرع فاتى بالحزم والثقل والاكتاف والتحريك وكل ذلك يناسب المستعار لهُ · الروح نسيم الريح

فاسمعْ بياناً من إلهِ بيانِ
أقوالُهُ نزلتْ كتاباً منزّلا

ألعقلُ نورٌ في الدماغِ قد استقرّ
والنطقُ سرُّ العقلِ يكشفُ ما استترْ
لولا التلفّظُ لم يبِنْ فضلُ البشرْ

فبهِ روى الآباء للأولادِ
ما جاء مكرمةً عن الأجدادِ
او ما رأوهُ في قصيِّ بلادِ
او ما يفيدُ تبصّراً وتعقّلا (١)

النطقُ يفصحُ عن صميمِ ضميرِ
يهدي الجهولَ الى قويمِ مسيرِ
ويديرُ للظمآنِ كأسَ نميرِ

بهدايةٍ لمراحمِ المتعالِ
وبدفعِ ريبٍ جاء في الأعمالِ
وبكشفِ تضليلٍ من الآمالِ
ليبيتَ منبوذُ المقاصدِ مهملا (٢)

وقدِ ارتقى شأنُ البيانِ مع الزمنْ

---

(١) اختلف في محل العقل فقيل هو الفؤاد وقيل بل الدماغ وهذا رأي المحققين اخيراً . المكرمة العمل المجيد (٢) النمير الزاكي من الماء . والمنبوذ المطروح

فغدا أجلَّ كرامةٍ لأُلي الفطَنْ

فالقُطبُ كلُّ القُطبِ من حازَ اللَّسَنْ

طوراً أتى بالوحيِ عن ربِّ العِبادْ

ثمَّ استوى يروي الشرائعَ للبِلادْ

وأكم تولى الصُلحَ مابينَ الأعادْ

فأعادَ روضَ الوفقِ أزهرَ مبقِلا (١)

فغدا دِعامةَ سلْطةٍ للراعي

ووسيلةَ الإسعادِ للاتْباعِ

والفصلَ بينَ ذوي علًى ورَعاعِ

كم مرّةٍ جعلَ العدوَّ حبيبا

وأعادَ يمنًا ما يلوحُ كرُوبا

وأفاضَ من يدِ مُمسكٍ شؤبُوبا

كان انطِلاقُ يمينهِ لن يؤْملا (٢)

وهو المُثقِّفُ كلَّ غِرٍّ جاهلِ

ومُبينُ حِكمةِ كُلِّ شَهمٍ فاضِلِ

---

(١) القطب في الاصل الحديدة في الطبق الاسفل من الرحى يدور عليها الطبق الاعلى ثم استعمل لرئيس القوم الذي يدور عليهِ امرهم · والقطب كل القطب اي الرئيس الحقيقي · واللسن التناهي في الفصاحة والبلاغة

ملاحظة : هذا القول وارد بلسان هرمس وبالتالي هو قول الاقدمين والوحي هنا هو ما كانوا ينسبونهُ الى الآلهة الكاذبة وقد اوضحنا ذلك لمزيد البيان

(١) الدعامة عماد البيت يُسنَد اليهِ والرعاع اوغاد الناس واليمن البركة والممسك البخيل

ومُعزُّ جدْوى كلِّ مولًى باذلِ

بذَلَ النُضارَ لِيُنْشَرَ العُمْرانُ
ولِتُكْرَمَ الآدابُ والأَديانُ
ولكي يعافَ ضَلالةٌ وهَوانُ
ولغيرِ هذي لن يجودَ ويَبْذُلا[1]

إنَّ البيانَ صفيحةٌ بتَّارَهْ
لا بل كتائبُ نِعمةٍ جرَّارَهْ
لا بـل بحورُ سعادةٍ زخَّارَهْ

فلكم حبا رأسَ المبرّزِ غارا
وجدا عليه من العلى أوطارا
وأناله شرفًا سما ويسارا
فأجتَرّ من ضافي الكرامةِ أذيُلا[2]

وبهِ غدا ربُّ الكساء البالي
مولًى رفيعَ ذُرًى أَليفَ معالِ
ذِكراهُ خالدةٌ مدَى الأجيالِ

---

(١) المُثقِف من ثقف الرمح اذا قوّمه ويستعار للتأديب والتهذيب. الشهم الذكي الفؤاد المتوقد . والجدوى العطية . النضار الذهب أو الفضة والمراد المال من نقود وملك من باب ذكر الخاص وارادة العام كقول ضرار ابن الازور

عشية لا تغني الرماحُ مكانها ولا النبل الا المشرفيُّ المصممُ

المشرفي اي السيف المشرفي والمراد السيوف عامةً

(٢) جدا عليهِ اعطاه جدوى

تُرْوَى فَيَنفَحُ عَنبرٌ وملابُ
ويُدارُ من قولٍ جلاهُ شرابُ
بل ضمهُ لِمقامهم أربابُ
وبذاكَ قد حازَ النصيبَ الأفضلا [١]

لٰكنَّ بعضَ ذوي البيانِ أساء
فجفا الهُدَى وتعمَّدَ الظلْماء
يَسعَى حَثيثًا أن يُثيرَ عِداء

فرمى النقيَّ بكلِّ عيبٍ ثالبِ
وبغى بمَينِ القولِ شرَّ مآربِ
لم يَخشَ من سخطِ القديرِ الغالبِ
سُحقًا لمنزلةِ البذاءةِ منزلا [٢]

كم راغبٍ في أن يَبيدَ حقائقا
في ما يَقولُ مُوارِبًا ومُماذِقا

---

(١) بل ضمه لمقامهم اربابُ . قول يتضمن اشارة الى ما كان من اجلال شأن هوميرس فمدهُ اهل جزيرة يوس شبيه الآلهة وبنى لهُ الازميريون هيكلاً وانشأوا له نصبًا وصكوا نقودًا باسمهِ وقد اقتدى اهالي جزيرة ساقس بالازميريين فشادوا لهُ معبدًا وعبدوهُ

(٢) المثيث السريع . وسحقًا اي بعدًا . وتعمد الظلماء اي الضلالة وفي الكلام استعارة فذكر المستعار منهُ وهو الظلماء وحذف المستعار له وهو الضلالة والقرينة على الاستعارة ذكر الهدى ومثالهُ : لم استطع ان اكلمكم كروحيين بل كجسديين كاطفال في المسيح سقيتكم لبنًا لا طعامًا : (١ كو ٣ : ١ و ٢) فاللبن والطعام التعليم بالواضح والدقيق والقرينة قوله ان اكلمكم

يَنفي بلا وَجلٍ صحيحاً صادقا

لا يرهَبُ الأرباب تُظْهِرُ مينَهُ
وتُبينُ للرأيِ المحقَقِ غَينَهُ
وتُذيعُ مـا بينَ البسيطةِ شينَهُ

فيعيشَ مخفوضَ المقامِ مذَلَّلا [1]

فتَنحَّ عن إلقاءِ قولٍ جارحِ
في طَيِّ جدٍّ او بمَنطِقِ مـازحِ
فبِذا لسُبلِ الشرِّ شرُّ فواتحِ

كمْ لفظةٍ ألقتْ بقلبٍ نـارا
وعقيبَها نضتِ الأكُفُّ شفارا
منهـا الدِماءُ تدفَّقتْ أنهـارا

فاعقِلْ لِسانَكَ أو فَدَعْهُ متعقِّلا [2]

شتَّانَ بينَ عبارةٍ كالبلْسَمِ
تدَعُ السقيمَ بصحَّةٍ ونَعْمِ
وعبارةٍ شنعاءَ مثلِ اللهذَمِ

طاشتْ بمَن وقعتْ بهِ الاحلامُ

---

(١) المماذق الغير المخلص . الغين مصدر غين عَلَى قلبه وهو أن تغشاه الشهوة

(٢) التنحي عن الشيء الاعتزال . الالقاء الإبلاغ . فبذا اشارة الى القول الجارح . عقل لسانهُ ربطهُ فجعل اللسان كالبعير مثلاً استعارة كنائية وتخيل له العقل

فَلَدَيهِ مُنْبَثِقُ الضِياءِ ظَلَامُ
بل عِندَهُ ماءُ الحَيَاةِ سِمامُ
فيَسوقُ من جُندِ العَداوة جَحْفَلا[1]
فاعمِدْ الى التفكيرِ قبلَ تكلُّمِ
وَالجَأْ الى رَبِّ السَّماءِ المُنعِمِ
واهتِفْ أَيا رباهُ هَبْ حرَساً في
فينالَ منطِقُ حِكمةٍ إطلاقا
ويُشدَّ خنَّاسُ المَقالِ وِثاقا
وتُزادَ حُجرةُ سِجنِهِ إِغلاقا
قفلاً لأبوابِ الضَغينةِ والقِلَى[2] »
سَمِعَ الجموعُ مقالَ هرمسَ واهتَدوا
بعِظاتِهِ وبِطيبِ سيرتِهِ اقتَدوا
فلذاكَ من حُلَلِ السرورِ قدِ ارتَدَوا
هٰذا خَطيبُ الخُلْدِ يحمَدُ مَقصَدا
ولَقدْ روى سُبُلَ الهُدى لِمَن اهتَدى

(٢) شتان بفتح النون وكسرها فان فتحتها كانت اسم فعل بمعنى بعُدَ وان كسرتها صحَّ لك القول انها اسم فعل وانها مثنى شت اي متفرق وبين اما ان يكون فاعل شتان فتضمهُ او ظرفاً فتنصبهُ . اللهذم الحاد القاطع من الأسنة . انبثاق الضياء اقبالهُ ممتداً في الشرق . السمام جمع سم . الجحفل الجيش الكثير (٢) عمد اليهِ قصدهُ . الخناس الشيطان . الضغينة الحقد

يا صاحبي اسمعْ ما تلا تُكْفَ الرَّدى
وانشرْ نصائحَهُ على هامِ المَلا

(٥)

باخوس وأسراه

تعداد الامراض المتولّدة من معاطاة الخمرة

الدخول في حمى باخوس — السكيرون لا حظّ لهم في جنة الازل

أليسَ ذاكَ حِمى باخوسَ فابتَدِرِ نكسِبْ عِظاتٍ بها هدْيٌ لمُعتَبِرِ
لا بُصِرنَا فمنهُ وافدُ الضَّررِ أمـا رأيناهُ معْ فينيسَ ذا فِكَرِ

عمَّا يفيضَ بلاءٌ يجرُفُ المَلأ
فيغتدونَ لنيرانِ الرَّدى كَلأ
شبَّتْ فلم تُبقِ ضِرغاماً ولا رشأ

يُريدُ أنْ يجعلَ الآنامَ كلَّهمُ في كفِّهِ فيُجازيهم كما شاء[1]

دور

ربُّ المُدامةِ مـا ينفكُّ ذا هوَسٍ بمـا يصيرُ لِواهُ شاملَ الأنَسِ
وكمْ حبا بِسخاءِ فكرَ مقتبِسِ أنواعَ خمرٍ تثيرُ البُؤسَ كالقبَسِ

هاتيكَ أمضى سلاحٍ يكْلُمُ الكبِدا
أدمى الأشقّاءَ والأبناءَ والولَدا

---

(١) المعتبر المتعظ · جرفه اخذه اخذاً كثيراً · الكلاء العشب رطبه ويابسه والمراد اليابس · وفي كفه مجاز مرسل من باب ذكر الشيء باسم آلته يريد طاعته

وَلَمْ يَدَعْ سالمًا من شَرِّهِ أحدا

وهٰكذا الخَصِمُ الجَبَّارُ يَنتَقِمُ ويملأُ الكَونَ أهوالاً وأرزاء[١]

دور

لَجْ في حِماهُ كمَن يمشي الى الأَسَدِ مُدرَّعًا خشيةَ الحِدثانِ بالرَّشَدِ

فالرُّشدُ أدفعُ للبلوى منَ الزَرَدِ من كان شكَّتهُ ينجو منَ الفَندِ

وانظُرْ تَجِدْ حُجراً ضُمّتْ الى حُجَرِ

كلٌّ بها فَيلَقٌ ضخمٌ منَ البَشَرِ

دانوا لباخوسَ في سرٍّ وفي جَهَرِ

فباتَ منفرداً يُجري امورَهُمُ يَزيدُهم بالتماسِ البُؤسِ إغراء[٢]

دور

هٰذا فريق شكا الآلامَ في المَعِدَهْ يقولُ إنَّ بهـا النيرانَ متَّقِدَهْ

إن ذاقَ شهداً فبالأوجاعِ قد زَرَدَهْ وباتَ طُولَ دُجاهُ موربًا كَمِدَهْ

هٰذي أتت عن كؤُوسٍ كان يُسقاها

تحيَّرت في صميمِ القلبِ مغناهـا

فلا عجابَ اذا وافتهُ بلواهـا

وباتَ في لهَبِ الأوجاعِ يَضطَرِمُ يُجري الدموعَ على الخدَّينِ حمراء

---

(١) لواءهُ اي سلطته . والأُنس الجماعة الكثيرة والمراد الناس اجمع . القبس شعلة نار تؤخذ من معظم النار . يكلم يجرح . الارزاء جمع رزء وهو المصيبة

(٢) ولج دخل . الزرد الدرع . الفند العجز . والفيلق الجيش . دان لهُ ذلَّ واطاع . الاغراء التوليع

دور

وذا فريقٌ عرتهُ علّةُ الكَبِدِ حؤُولها باتَ منهُ عادمَ الجلدِ
كذا تضخّمها ألقاهُ في نكَدِ فباتَ ليلتهُ في قبضةِ السهدِ

يرجو الرُّقادَ فلَمْ يظفرْ بمرجاتهْ
فظلَّ يقضمُ مرًّا مرّ أوقاتهْ
يا طالما ظلّ في أمواجِ شدّاتهْ

على الحضيضِ كميتٍ ما لهُ نَسمُ وما لهُ من دواءٍ يدفعُ الداءْ (١)

دور

وانظرْ فريقاً شكا بولَ الزُّلالِ ولَمْ يجدْ معيناً على بلوى ومرِّ ألَمْ
تَقلُّصُ الكُليتينِ انقضَّ مثلَ جلمْ عليهِ يضرمهُ بالنارِ أيَّ ضرَمْ

لِذاكَ النورُ في عينيهِ كالغسَقِ
فصارَ يُلفى شريساً سيّءَ الخُلُقِ
من ثمّ يهوي صريعاً فاقدَ الرَّمقِ

يمضي الى حيثُ سارت قبلهُ أممُ ونفسهُ سكنت في قعرِ ظلماءْ (٢)

دور

واشهدْ فريقاً يعاني قلبُهُ ضعفَا لا بلْ حؤُولاً فبالبلوى قدِ التحفَا
هذا عقابٌ لِمَن بالراحِ قد شُغفَا وباتَ ليلتهُ للكأسِ مرتشفَا

---

(١) الحؤول التحول من حال الى آخر · يقضم ياكل او يكسر باطراف اسنانه
(٢) التقلص الانضمام · الغسق ظلمة اول الليل والمراد الظلمة على الاطلاق

يُتابعُ الرَّشفَ أدواراً لأدوارِ
والخمرُ تلهبُ في الأحشاء كالنارِ
تُقصي الرَّشادَ الى مهجورِ أقطارِ
وراحَ في الحمئاتِ السودِ يرتطمُ لا عقلَ يردعُ مما ذاقَ صهباء (١)

دور

وهاكَ قوماً بلا أيدٍ ولا حولِ باتوا شيوخاً وهم في سنِ مقتبلِ
قُواهمُ عجزت عن محكمِ العملِ فلا يُرجّون في الدنيا سوى الأجلِ
للدَّمِ أوعيةٌ تبدو صلابتُها
لذلكَ النفسُ قد جاشت كآبتُها
وشدَّةُ الفقرِ وافتهم سحابتُها
فَصابَهُم من بلاءٍ هاطلٍ رَذِمٌ ما انفكَّ يقذفُ ويلاتٍ وأرزاء (٢)

دور

وهاكَ قوماً لذيذُ الخمرِ خوَّلَهُ داءَ احتقانِ دماغٍ لا دواءَ لهُ
فباتَ موحشُ قلبِ الأرضِ منزلَهُ ياويحَ غصنِ صباهُ كيفَ أذبلَهُ
كأسٌ تُدارُ فلا تُبقي ولا تذرُ
عنها تتابعتِ الويلاتُ والغيرُ
كم من فتىً كقضيبٍ زانهُ زهرُ

(١) الحمأة الطين الاسود المنتن . وهي هنا كلمة مجازية يراد بها الشؤون الدنيئة من باب الاستعارة وقد ذُكر الارتطام الذي يوافق الحمأة . والصهباء الخمر

(٢) الأيد القوة والصلابة . الحوّل الحذق وجودة النظر والقدره على التصرّف . الرذم السائل

بها اختفى مثلما يُخفي الضيا الظُلَمُ ما اسطاعَ لَفظاً ولكن نصَّ إيماء[1]

دور

وانظرْ فريقاً بداء السلّ قـد مُنيا يا وَيحهُ او بداء الصَّرْع قد شقيا
فظلّ في فُرُش الآلام مرتميا ينحو سبيلاً الى الأرماس منتهيا

لولا المُدامةُ كان السلُّ يجفوهُ
ولم تكنْ نُوَبٌ للصَّرْعِ تعروهُ
وكان إسعادُ هذا العمرِ ينحوهُ

فيجتلي بهجةَ الآمالِ تبتسمُ واليُمنُ ينفحُ في ما حلَّ أنحاء[2]

دور

وانظرْ فريقاً قد استعصت بهِ عِلَلُ تُنمى الى عصبٍ تبريحُهـا جلَلُ
لوِ اعترت قُلَلاً لاستعبرت قُلَلُ ويلاهُ من بؤسها لاسيَّما الشلَلُ

يُلقي الفتى في بحار الويلِ مكتوفا
يُواصلُ البثَّ أشجاناً وتأفيفا
ولا يرى عنهُ صابَ العيشِ مصروفا

كم ناحَ من ندمٍ والخيبةُ الندمُ وواصلَ الحُزنَ إصباحاً وإمساء[3]

دور

وهاكَ قوماً من الجنسين مختلطا إلى جحيمٍ منَ الآلامِ قد هبطا
يشكو المثانةَ من وردِ الطِلا فُرُطا ودورةَ الحيض تجري مسلكاً شططا

(١) الغِيَر احداث الدهر المغيّرة اسطاع اي استطاع (٢) نحاه قصدهُ . الارجاء جمع رجا وهي الناحية (٣) تنمى تنسب . استعبر بكى

ضَعفُ التناسلِ معْ تلكَ المُصيباتِ

جنى ولم يجنِ نسلاً ذا كراماتِ

قبلَ المماتِ تراهُ رسمَ اموات

غلامهُ وهو في شرخِ الصبا هرِمُ   يحيا أسيفاً كسيفَ البالِ مستاء (١)

دور

واشهدْ فريقاً خلا من قوَّةِ الجسدِ   لبَّى سريعاً مُطيعاً جاحمَ الخُلُدِ

كان المُعرَّضَ للتيفوسِ لم يجِدِ   من وجههِ مهرباً يُنجي من الكمدِ

أو ذاقَ مصرعهُ من فتكِ ذاتِ رِئةْ

أو فتكِ أوبئةٍ هاتيكَ شرِّ فئةْ

قد خلَّدت مثلاً بين الملا نبأَهْ

كي لا يُقبِّلَ ثغراً للمُدام فمُ   ولو أُديرَ على عنّابِ حسناء (٢)

دور

وأشهدْ فريقاً دعاهُ واجبُ الوطنِ   الى الوغى فعلتهُ وصمةُ الجُبُنِ

اضاعَ رُشداً ولولا الكأسُ لم يهِنِ   ولا غدا الوطنُ المحبوبُ في محَنِ

الخمرُ تُضعِفُ عزمَ الباسلِ النجِدِ

---

(١) الطلاء الخمرة · الفرط الامر المجاوز فيه عن الحد · والشطط مجاوزة الحد ايضاً · شرخ الصبا اول الشباب · الهرم الذي بلغ اقصى الكبر   (٢) العناب شجر حبهُ يشبه حبَّ الزيتون في شكله يستعار للاصابع كما قال الشاعر

واستمطرت لؤلؤءاً من نرجس وسقت   ورداً وعضّت على العنّاب بالبرد

وقد زعم امين منصور الغريّب صاحب جريدة المهاجر ان العناب يستعار للشفاه وهو من الجهل بادب اللغة وفساد الذوق بمكان

كم غادرت ثابتاً عزماً بلا جلَدِ
ففرَّ من موقِفِ الاهوالِ كالنقَدِ
خوفاً وقد أُصلتَ الصمصامةُ الخذِمُ   وكان قبلَ الطِلا كشَّاف دهياء (١)

دور

وأشهدْ فريقاً خلا من جذوةِ الفطَنِ   وعيبَ بالجِنِّ حتى غابَ في الجَنَنِ
وَدَّتْ اقاربهُ لو كانَ لم يكُنِ   لِما كساهم من التلويمِ والإحَنِ
وكان في بدءِ أمرٍ ثاقباً نظرَا
يجلو القلائدَ ان يَنظِمْ وان نَثَرا
رجا المجُونَ بحيا باذخاً خطرَا
لٰكنهُ ساقهُ نحو الطِلا قدَمُ   فلم يَشِمْ بعدَ غيِّ الكأسِ نعماء (٢)

دور

وانظرْ جماهيرَ غرْقى بحرِ اشجانِ   عاشوا وماتوا أسارى لابنةِ الحانِ
تعَدَّدوا بينَ ذُكرانٍ ونِسْوانِ   جاءوا باتعسِ ميراثٍ لغِلمانِ
من المُهودِ استطابوا نَشوةَ الكُوبِ
وقدْ نَشَوا بين ذي سقمٍ ومحروبِ
يقضُون عُمراً بانواعِ التعاذيبِ
عِيبوا عقُولاً فلا يُلفى بهم فهِمُ   ذلوا جُسوماً فما كانوا اشدَّاء (٣)

---

(١) النقد ضرب من الغنم · الصمصامة السيف الذي لا ينثني · الخذم من السيوف القاطع (٢) الجن الجنون · والجنن القبر (٣) الكوب قدح لا عروة لهُ والمراد قدح الخمر وهو من باب تسمية الشيء باسم آلته اي ان المراد هو الخمر · المحروب المسلوب المال

دور

وارمقْ فريقاً بأصفادٍ وأغلالِ   لما توخّاهُ من مذمومِ أعمالِ
إمّا لإعمالِ صَمْصامٍ وعسّالِ   او لارتداء الليالي مثلَ سِربالِ
يَعدو على الناسِ أو يَعدو على المالِ
من نَشوةٍ وردت عن حَسوِ جِريالِ
لذاكَ باءَ بتشهيرٍ وإذلالِ
ورُبّما ضامهُ في قيدهِ السقَمُ   وذاق موتَهُ في السجنِ شنعاء (١)

دور

فِف كم نرى من فريقٍ كالحصى عَدَدا   لأمرِ باخوسَ يحنو هامةً ويدا
ولم يُحِبَّ شقيقَ الروحِ او وَلَدا   كحُبّهِ معَ ما قد ذاقَ منهُ جدَى
جدًى هو الذُلُّ والإعوازُ والبلَهْ
وسوءُ ذِكرٍ مدى الأجيالِ كلّلَهْ
وضُعفُ جسمٍ وعقلٍ قد تحمّلَهْ
حتى أُقيمَ على جُثمانهِ الأُطُمُ   وسامهُ مَلَكُ الأرواحِ إغفاء (٢)

دور

يا صاحبي لا تخَلْ ما لاحَ للمُقَلِ   كتائبَ استوطنت في جنّةِ الازلِ

---

(١) رمقهُ لحظهُ لحظاً خفيفاً . الاصفاد والاغلال القيود . توخاه اختارهُ . الصمصام السيف . والعسّال الرمح . السربال نوع من الثياب والارتداء الاكتساء . الجربال الخمر . باء رجع (٢) الجدا العطية . الاعواز الحاجة . الأُطم كل بيت مربّع ومسطّح والمراد هنا القبر . وسامهُ ملك الارواح اغفاء اي مات

هذي رُسومُ لمن ساروا علَى خَطَلِ قِيدوا بطاعةِ باخوسِ الى شُعَلِ
فهم يُسامونَ في دارِ اللَّظى تلَفا
يُلقَى شديداً أبيداً ليس منْصرِفا
كلٌّ يُنادي منَ الآلامِ واأسفا
أنّى وَلِعتُ بكأسٍ غِبُّها ضَرَمُ مُخَلَّدٌ لم يزَلْ يزدادُ إذكاء (١)

دور

كفى بمــا رَمقت أجفانُنا عِبَرا قد ذاقَ شدَّتَها الصَّماءَ مَن عَبَرا
باتوا نُموذَجَ إرشادٍ لمَنْ عَبَرا بمــا يُلظِّي حَشا يَستمطِرُ العِبَرا
وسِرْ بِنا قبلَ أن يَدري بنا أحَدُ
فربّما نالَنا من باخُسَ النَكَدُ
إنَّ السَّلامةَ من شرِّ العِدَى رَشَدُ
إن تَتبَعْني فهذا مَسلكٌ أَمَمٌ بهِ نُجاوِزُ أرصاداً واعداء (٢)

---

(١) كتائب فرق . الخطل الضلال . انى كيف . الاذكاء الايقاد

(٢) العبر الاولى العظات والثانية فعل ماضٍ بمعنى مضى . والثالثة فعل ماض بمعنى اتى . والرابعة جمع عبرة اي الدمعة . النكد العسر . الامم القصد الوسط . والارصاد جمع راصد

(٦)

سيريس وحدائقها [١]

صفة الرياض

هنالكَ سيريسُ استقرّتْ فأقبلِ كإقبالِ ظمآنٍ الى خيرِ منهلِ
وسِرْ مطمئناً جئتَ اكرمَ منزلِ لربّتهِ ينمى كريمُ التفضّلِ
وآلاؤها كالعارضِ المتهلّلِ [٢]

تأمّلْ تجدْ تلكَ الرياضَ زواهرا ينمُّ نسيمُ الخُلدِ منهنَّ عاطرا
وأحمالُها يَسبينَ طرفاً وخاطرا يلُحنَ على أغصانهنَّ جواهرا
ويرغبُ فيها كلُّ ربِّ مقبَّلِ [٣]

تأمّلْ تجدْ تلكَ الغصونَ عذارى لَبسنَ من الوشْيِ البديعِ إزارا
تلألأ بالنورِ النديِّ نضارا لذاكَ العيونُ الرامقاتُ أسارى
تجدّدُ دوماً لحظةَ المتأمّلِ [٤]

لهنَّ كما للغيدِ ما طابَ وصفهُ نسيمٌ كخَلْقِ الخودِ قد فاحَ عرفهُ
وثوبٌ بهاً ايدي الجمالِ تكفّهُ واشهى جنًى يحلو لذي اللبِّ قطفهُ
وفي فيئها يحوي الفتى خيرَ مأملِ [٥]

---

(١) الحديقة الروضة ذات الشجر · وسيريس الرومانيين هي ذيمتير او ذيمترا اليونانيين — الارض الوالدة — الاهة الزراعة والخصب تزوجها زفس فاولدها روزاربينا التي خطفها اله الجحيم (٢) اذاقيل: هناك ذميتيرا استقرت فأقبل · كان الاسلوب يونانياً · وآلاؤها عطاياها · العارض المطر (٣) المقبَّل الفم ورب المقبل كل انسان (٤) الوشي النقش · النضار الفضة والذهب · (٥) الغيد جمع غيداء المرأة المتثنية ليناً · وكفُّ الثوب خاطهُ وهي الخياطة الثانية بعد الشل

تخرُّ على وجهِ الثَّرى بثمارِها — مثالَ اتضاعٍ زانَ عقدَ فخارِها
وهل يخفضُ الهاماتِ غيرُ خيارِها — دليلَ اتقاها ربَّها وائتمارِها

بما جاء في شرعٍ من الأوجِ منزَلِ [1]

اذا عانقتها الشمسُ مدَّت على الثَّرى — بدائعَ فيءٍ قد تنظَّمنَ جوهَرا
ترى رسمَها قد شاق للعينِ منظرا — فباتَ بهِ لُبُّ الحكيمِ محيَّرا

وودَّ رداءً مثلَهُ للتجمُّلِ [2]

تراهُ بآلافِ الدنانيرِ قُلِّدا — واطرافُهُ أُزرت بما كانَ عسجدا
كأني بهِ يحوي حلًى وزبرجدا — تخيَّرهُ المستثمرُ الروضِ مرقدا

فنالَ ارتياحاً منعشاً كلَّ مفصلِ [3]

وقد فرشت تلكَ الرحابُ من الزهَرْ — زرابيَّ باهي حسنُها يخلبُ البصَرْ
حوينَ رسوماً أذهلت ثاقبَ الفكرْ — حكينَ عقوداً من جمانٍ ومن دُرَرْ

تُنظَّمُ في بُردِ المليكِ المبجَّلِ [4]

فألماسُها ما انفكَّ ابيضَ ناصعا — وعقيانُها قد لاحَ أصفرَ فاقعا
زمرُّدُها تلفيهِ أخضرَ لامعا — ومرجانُها المحمرُّ فاقَ بدائعا

فأكرِمْ بهاتيكَ العقودِ وأجملِ [5]

---

(١) الاوج معرب اوك بالفارسية بمعنى العلو والمراد هنا السماء (٢) استعار المعانقة لاشراق الشمس على الشجر (٣) آلاف الدنانير استعارة لفيء الاوراق اذا كانت ذات تدوير (٤) الزرابي البسط او كل ما بُسط واتُّكِئ عليهِ . المبجل المعظم (٥) الناصع الخالص الصافي من كل شيء يقال ابيض ناصع اي صافي البياض وفاقع صفة للاصفر اي شديد مشبع اللون . يقال اصفر فاقع واحمر قرّاص واخضر حانٍ وابيض يقق واسود حالك

وكم توَّجتْ هامَ الرَّوابي سنابلُ تميسُ كبحرٍ هاجَ والجوُّ هاطلُ
والأ كجيشٍ في يدَيهِ ذَوابلُ يُصارعُ قِرنٌ قِرنَهُ ويُصاولُ
ويرْميهِ من قلبٍ مَغيظٍ بمقتَلِ (١)

وكم بينَها حانٍ محيَّاهُ للثَّرى كذي العبءِ يحنو رأسهُ متذمِّرا
واكتافهُ من عبئِهِ فكُّكَت عرى والأ كذي رِقٍّ لمولاهُ كفَّرا
وليس لهُ مولًى سوى حدِّ منجَلِ (٢)

وشاهِدْ بهاتيك الهِضابِ دواليا يقولُ أخو البؤسى جناها دوائيا
ومرآهُ شبهٌ بالعقودِ بواديا والأ فعنقودُ الدراريِّ باديا
وأَحْبِبْ بهِ من مأكلٍ أيِّ مأكَلِ

بحلوِ مجانيها معظَّمةٌ عَرْشا فباتت لِأشجارِ الملا كلّها عرشا
لِذاكَ علَى هاماتِها ارتفعت عرْشا ولو خُوّلت سؤلاً إذن تبلغُ العرْشا
ولكنَّ هاتيك المُنَى لم تخوَّل (٣)

نضيجُ جناها إنْ أُذيبَ عصيرا تولَّدَ منهُ ما دعَوهُ خُمورا
بِشربِ قليلٍ منهُ نلتَ سرُورا واعظمُ بلوى ان شربتَ كثيرا
فتذهبَ نشوانًا بعقلٍ مضلَّلِ (٤)

وكم كانَ في شرعِ الديانات ذا شانِ يُراقُ انسكابًا بالتماسِ لإحسانِ

(١) الذوابل الرماح ٠ والقرن النظير يصاوله ويواثبه (٢) المحيا الوجه ٠ العبء الحمل والثقل من اي شيء كان ٠ وذي الرق المملوك وكفر خضع والتكفير ان يضع يده على صدره ويطأطىء رأسه ويتطأمن تعظيماً (٣) العرش الاولى العز والثانية الملك والثالثة السدة والرابعة النجوم الاربعة ٠ وخول ملكت
(٤) النشوان السكران

وَيُسكَبُ أيضاً حينَ تَبيانِ شُكرانِ بأبدعِ كأسٍ من لُجينٍ وعِقيانِ
ولا سيَّما من كَفِّ ذاتِ تَبتُّلِ (١)

وبالقُربِ تُفّاحٌ وجوزٌ وزيتونُ ونَخلٌ ورُمّانٌ وخوخٌ وليمونُ
كذلكَ إجّاصٌ يُجاوِرُهُ تينُ ودُرّاقنٌ حلوٌ بهِ القلبُ مفتونُ
صُفُوفاً صُفوفاً أُتبِعت بالسَّفَرجَلِ

عَلَى إثرِها تَبدو رِحابُ بَساتينِ جوانبُها قد خُصِّصت للرَّياحينِ
لِآسٍ خُزامى أُقحُوانٍ ونِسرينِ كذا نرجسٍ قالوا حكى أعيُنَ العِينِ
وجُوريّ وَرْدٍ قُربَ حوضِ قَرنفُلِ (٢)

يُجاوِرُ هاتيكَ الرياضَ حُقولُ بِهِنَّ كَرَفسٌ يُستحَبُّ وفُولُ
خِيارٌ وقِثّاءٌ جَناهُ جَزيلُ وأمثالُ هٰذي والعِدادُ يَطولُ
وَقَدْ سَئِمَت نفسي حَديثَ المطوَّلِ (٣)

ومِنْ بَعدِ ذي الأقطانُ مثلُ عرائسِ وتوتٌ جناهُ من أعزِّ النفائسِ
وأرزٌ وسروٌ مائسٌ أيُّ مائسِ وأمثالُهُ مما يَطولُ لغارسِ
ليُرفَدَ منهُ كلُّ بيتٍ ومعقِلِ (٤)

لئِنْ وَهَنت رِجلاكَ مما جنى السيرُ فَنَمْ آمناً في ذا المَقامِ ولا ضَيرُ

---

(١) هذا البيت يراد فيه الاشارة الى الديانات القديمة وفي النشيد السادس عشر من الالياذة بيان لذلك . الجين الفضة والعقيان الذهب وذات التبتل الفتاة العذراء التي كانت تقام عرافة للآلهة كافيجي ابنة اغاممنون رئيس ملوك اليونانيين في حرب ترداة

(٢) العين بقر الوحش الموصوفات بجمال العيون (٣) حديث المطوَّلِ من باب اضافة الموصوف الى صفتهِ كروح القدس (٤) رفدهُ اعطاهُ

هُنا مَعهَدٌ مُمتدٌّ فُسطاطِهِ خيِّرُ ومِمَّا حوت جنَّاتُهُ يُشتهى الميرُ
فنمْ مثلَ طفلٍ في سريرٍ مُظَلَّلِ (١)

(٧)

حَقلُ سريس

سريس تُوقظ من النوم عاملَها ليمضي الى العمل — يوم فلاحة — نتائج حكمية

أيُّ صوتٍ طارقٍ أُذُني مُنقِذي من لجَّةِ الوَسَنِ
هاتفًا بي يا أخا الفطَنِ
زوجُ طيثونَ انجلَت فَقُمِ نرتَشِفْ من منهَلِ النِعَمِ
انَّما الرَّقدةُ في الظُّلَمِ
فجفا جفني لذيذُ كرًى ورأيتُ النورَ منفجِرا
كسَحابٍ سالَ منهمِرا
من لُجَينٍ شابَهُ تِبرُ (٢)

دور

ذاكَ صوتٌ قد عرا الأُذُنا فأفاقَ المُقلةَ الوَسْنى
وأراني صورةً حُسنى

(١) وهنت ضعفت · الضير الاضرار · المعهد المنزل الذي لا يزال القوم اذا انتأوا عنهُ رجعوا اليهِ · الفسطاط السرادق من الابنية · المير الطعام

(٢) الوَسَن النوم · طيثون انسي من بني لومذون ابي فرّيام ملك طروادة عشقتهُ الاهة الفجر لجمالهِ واستأذنت زفسًا فاتخذتهُ بعلاً فزوج طيثون الاهة الفجر · منهمرًا منسكبًا · شابه اختلط بهِ

فوقَ حُسْنِ الشَّمسِ والقمرِ ببهاءِ اللُّطفِ والخفرِ

فهيَ احلى ما رأى بصري

تحملُ السُّنبلَ يُمناها نقبضُ المذراةَ يُسراها

والسنا واللُّطفُ ثوباها

وبعينيها انجلى السحرُ [1]

دور

ظِلتُ أقفوها على الأثرِ بنشاطٍ ليسَ للبشرِ

مثلَ شؤبوبٍ من المطرِ

سرتُ أبغي أبعدَ الحُجرِ منعشاً من نسمةِ السَّحرِ

فبدا زوجٌ من البقرِ

سقتهُ للحقلِ مسرورا أحملُ السكَّةَ والنيرا

وأتيتُ الموضعَ البورا

فالحاً كي يحسنَ البذرُ [2]

فوضعتُ السيرَ في العنقِ أقرنُ الثورينِ بالرفقِ

ووزنتُ الخطوَ بالوفقِ [3]

فملأتُ الأرضَ أثلاما جئنَ بالإحكامِ أقلاما

وانا أخطرُ بسّاما

---

(١) الوسنى التي اخذها ثقل النوم · الخفر شدة الحياء · (٢) قفاه تبعهُ · البور من الارض التي لم تُزرَع ولم تُعمر · البذر ما عُزِل من الحبوب ليُزرَع

(٣) اقرنهما اشدهما · الرفق اللطف

لَمْ أَزَلْ في عَمَلي أَجْرِي مِن بُزُوغِ الفَجْرِ لِلظُّهرِ

فاُستقى من عرَقي ظَهْري

وتندّى مثلهُ الصَّدْرُ (١)

دور

وَانْثَنَينا ثمَّ لِلراحه إِذْ لها نَفْسِيَ مُلْتاحهْ

في نَقًا رَيَّاهُ فوَّاحهْ

وحلَلْتُ القيدَ فاُنسابا رَعيا نجماً وأعشابا

ثمَّ أَمَّا مَورِداً طابا

وتناولتُ الغَدا مِمّا في جرابِ الجِلْدِ قد ضُمّا

مُطرِبَ الأحشاء بالنُّعمى

بازِغاً من مَفرِقي البِشْرُ (٢)

دور

ثمَّ أقبلتُ عَلَى العَمَلِ باُجتهادٍ فائقِ المَثَلِ

ثابِتاً عزماً الى الطَفَلِ

كان رَوحُ التُّرْبِ ينعِشُني واتِّصالُ السَّعْي يُطرِبُني

---

(١) الظهر ساعة الزوال اي نصف النهار · والاقلام السطور المخطوطة مستقيمة من باب تسمية الشيء باسم فاعلهِ كما يقال اللسان التركي ويراد اللغة التركية

(٢) الملتاح العطشان · النقا من الرمل قطعة تنقاد محدودبة · النجم من النبات خلاف الشجر · أمَّا قصدا · الغدا طعام الغدوة وهو خلاف العشاء والمولدون يستعملونهُ لطعام الظهر · واما الصحيح في اللغة فان طعام الظهيرة يدعى الهجوريَّ · انساب مشى مسرعاً · المفرق وسط الراس · البشر الفرح

وَرشيحٌ فاضَ مِنْ بَدَني

يجعلُ الأعصابَ أَمْاسا فأَراحَ الفِكْرَ والراسا

وملا المُهجةَ إيناسا

فخلالي الشَّدْوُ والشِعرُ (١)

دور

بَعدَ هٰذا جِئتُ لِلبَذْرِ أَقذِفُ الحِنطةَ كالقَطْرِ

او كجَيْشٍ هَبَّ لِلكَرِّ

ثُمَّ يَعلُو التُربُ ما قُذِفا بِقَضيبٍ سارَ مُختَلِفا

جاعلاً ذاكَ الثَّرى لُحُفا

خِلتُ ما أَبذُرُ من بُرِّ غَرِقاً في لُجَّةِ البَحْرِ

أَو دَفِيناً غابَ في قَبْرِ

رَيثما يُدرِكُهُ القَطْرُ (٢)

دور

ومساءً عُدتُ من عَملي بِمُحَيًّا فائضِ الجَذَلِ

فعراني طارِقُ المُقَلِ (٣)

نمتُ ليلي نومَ فَرْحانا حامِلاً بُشْرى وإِحسانا

أَو كَمَنْ أُوتِيَ سُلطانا

ذاكَ يومٌ طابَ ذِكراهُ طُولَ عُمري لستُ أَنساهُ

---

(١) الطفل اختلاط اول الليل بضوء النهار. (٢) الحنطة القمح. القطر المطر. البر القمح (٣) الجذل السرور. طارق المقل كناية عن النوم

عجباً ما كان أهناهُ
حبذا لو أنهُ العمرُ

دور

لم أخاصِمْ فيهِ من أحدِ لِاحتيازِ الوَرِقِ والجُدُدِ
لا ولا وُلِّهتُ من غيدِ
قد أراني الغصنَ في أُزُرِ ضاحكاً عن مبسمِ الدُّرِ
حاسرَ اللَّباتِ والصدرِ
لا ولم أرشفْ مِنَ الخمرَهْ أكؤساً تذهبُ بالفِكرَهْ
مِن تواليها الذي أكرَه
حيثُ يمسي مركبي الشرُّ (١)

دور

كانتِ النفسُ تُناجيني بالَّذي لا شكَّ يأتيني
وَهوَ كلُّ السرِّ في الدينِ
إنّي لا جرمٌ أقضِي وكما أهلي مضوا أمضي
فيغيبُ الجسمُ في الأرضِ
وإذا ما كُنتُ ذا عَمَلِ عنهُ يرضى موجِدُ الأزلِ
بتُّ في رَمسي بلا وَجَلِ
راجياً ان يَقدمَ الحشرُ (٢)

(١) الورق الدراهم المضروبة . والجدد جمع جديد وهو ضرب من الدراهم القديمة . الغيد ميل العنق ولين الاعطاف . الأزر جمع ازار . اللبة المنحر (٢) لا جرم اي حقاً . اقضي اموت . الرمس القبر . الحشر الجمع كناية عن الحساب يوم الدين

دور

مِثلما يَنتَعِشُ البرُّ حينما يَنهمِلُ القَطرُ

هٰكذا يَنتَعِشُ البرُّ

إنْ دُعِيْ في الموقفِ الداني لجزا سوءٍ وإحسانِ

ورَدا عن قِسطِ ميزانِ

واحدُ البرِّ يَبيتُ مِنهْ كلُّ فردٍ مادِحٌ نبأه

فيَصوبُ اليُمنُ خيرَ فئهْ

حبذا ديَّالكَ الدهرُ[1]

---

(٨)

الحَصاد وتوابعهُ

نَهضتُ صباحاً فعِفتُ الهُجوعا وقُمتُ أُصلّي لِرَبي خُشوعا

أُذيبُ الفؤادَ الصليبَ شُموعا[2]

وبعدَ اغتِسالٍ ولُبْسِ ثِيابِ وذَوقِ طَعامٍ ووِردِ شَرابِ

مَضَيتُ الى عمَلي كالشِهابِ

أَتَيتُ الى موضعِ العملِ فأَبهجَني يانعُ السنبُلِ

لِذاكَ عدَوتُ الى مِنجَلي[3]

---

(١) القسط العدل · وقسط الميزان · عدالة الحساب يوم الدين · النبا الخبر · و يصوب يمطر · اليمن كلمة فيها استعارة كنائية وقد جيء بيصوب للدلالة على المستعار منهُ وهو المطر (٢) الهجوع النوم · الصليب الشديد (٣) عدا جرى واحضر

وجئتُ بهِ بادئًا بالحصادِ برغبةِ قلبٍ أليفِ اجتهادِ
كأني أكافحُ جيشَ اعادي (١)

حنوتُ القوامَ بلا مهَلٍ وشدَّت يميني بالمِنجلِ
أجُدُّ السنابلَ من أسفلِ (٢)

أصولُ يسارًا كذاك يمينا وأخفضُ يُسرى وأعلي يمينا
كأنّيَ أوقِدُ حربًا طَحونا (٣)

وأبغي لبطشي مكانًا فسيحا أبيتُ أغادرُ فيهِ طريحا
سوى ما أُصيبَ نحرٌ جريحا

أعودُ إليهِ فيحلو المعادْ وليسَ لهُ في التُرابِ مِهادْ
فضمٌّ الى إلفهِ المُستزادْ

وأقسو بيُمنى وأحنو بيُسرى فأجمعُ ما قد تراكمَ طرًّا
وأركمهُ جبلاً مشمخرًا (٤)

وبعدُ أعودُ ولا أنثني أصولُ بمِنجليَ المُنحني
على حينِ قدّيَ كالمِحجنِ (٥)

أُكبُّ على عملي مجهدا كذئبٍ قدِ افترسَ النقدا
فلَمْ يترُكْ نابُهُ أحدا (٦)

وبعدُ زففتُ الى ما أرتكمْ بمُنبسَطِ الأرضِ مثلَ العلَمْ

(١) اكافح أواجه (٢) اجدُّ اقطع (٣) الطحون الحرب التي يتطاحن بها الجيشان (٤) طرًّا جميعًا . المشمخر العالي (٥) المحجن العصا المنعطفة الراس كالصولجان (٦) اكب على الشيء اقبل

أُقيم على بعضهِ كالهرَمْ (١)

أسوقُ أمامي زوجَ بقرْ طويلَ القرونِ يروعُ النظرْ
وكلٌّ يُرى مثلَ طودٍ خطرْ

وجئتُ بنيرٍ كذا بعمودِ ونورجِ دَرْسٍ وحبلٍ شديدِ
كذا بعصا رأسها من حديدِ (٢)

قرنتُ الزميلينِ أفضلَ قرنِ وأركبتُ حبلي في كلِّ قرنِ
ووازنتُ بينهما أيَّ وزنِ

وقد ضمَّتِ العنقانِ بنيرِ وصلتُ العمودَ بهِ بجريرِ
كمعوجِّ خطٍّ لملغى السطورِ (٣)

وصلتُ به النورجَ المقتنى كشقةِ جدولِ ضربٍ بدا
وقلتُ بلوغُ الأماني دنا

فرشتُ لدى هرمي دائرهْ ومركبتي فوقها دائرهْ
لحبِّ سنابلها ناثرهْ

وذاكَ بما بجنَ النورجُ مساميرَ تمزقُ إذ تنهجُ
وتستخرجُ البرَّ اذ تمرجُ (٤)

فسيّرتُ ثمَّ العنانينِ رفقا لأجعلَ بينَ القرينين وفقا

(١) زف اسرع (٢) النورج ما يُداس به الاكداس وهو في الغالب قطعة خشب مبجنة بالمسامير على شكل يمثل جدول الضرب المرسوم في كتب الحساب . والعصا راسها من حديد هي المعروفة بالمساس (٣) الجرير الحبل (٤) بجن المسمار اثنى رأسهُ بعد دقهِ بجانب منفذهِ . ومرج الشيء بالشيء خلطهُ

وذاكَ علَى راحةِ الجسمِ أبقى

كأَنيَ بينَ القنا والصفائحْ بِمِركَبتي سائقُ الخيلِ رامِحْ
أصولُ ولٰكنني لا أُنافحْ (١)

ووخزُ قناتي يثيرُ الهممْ لِسُرعةِ سيرٍ بذاكَ الأَلَمْ
وكَمْ نِعمَةٍ تُجتلَى من نِقَمْ

فصِرتُ أدورُ بغيرِ فتورِ لِنَزْعِ لُبابٍ وسحقِ قشورِ
لدى دَرْسِها وُجِدَتْ كالحريرِ

ومــا زِلتُ أبسُطُ ذاكَ الهرَمْ الى أَنْ تَضاءلَ ثمَّ انهدمْ
فمن ثمَّ دورُ الدراسةِ تمْ (٢)

وقدْ رشقتنيَ فيهِ ذُكاء سهاماً الى أَنْ لقيتُ المساء
فلَمْ يبدُ مني أقلُّ اشتكاء (٣)

وكم سامني ضَبطُ تلكَ الأزِمَّةْ لِفَقدِ الوِفاقِ مَصاعبَ جمَّةْ
كأَنيَ منغمِسٌ في مُلمَّةْ (٤)

فأُبعدُ عن موضعِ العَمَلِ كأَنيَ أَخبطُ في مجهَلِ
وأُوشكُ أهوي على مقتَلِ (٥)

وبعدَ مذاقي مريرَ البــلا أعــودُ الى موضِعي أوّلا
ومن ثمَّ أستأنفُ العمَلا

---

(١) القنا الرماح والصفائح السيوف . والمنافحة الخصومة والمراد اعمال السلاح

(٢) البسط النشر تضاءل صار ضئيلاً وهو الصغير الدقيق (٣) ذكاء اسم للشمس غير منصرف للعلمية والتأنيث (٤) الملمة النازلة (٥) المجهل من الارض التي لا يهتدى منها

وقد كانَ مـا كانَ من مُزعجِ　وإفلاتِ ثوريَّ والنورجِ
لِتَركِ التبصُّرِ في المَنهجِ

ولمّا رأيتُ فروغَ السنابلْ　من الحَبِّ سبحتُ والقلبُ جاذِلْ
وصِرتُ أُرنّمُ مثلَ البلابلْ

وفكّكتُ مركبتي عجلا　وثوريَّ سقتهما للكلا
فصالا هُنالك واستبسلا

وجئتُ الى يَدري لأُذرّي　وأفصلَ مـا بينَ تِبنٍ وبُرّ
وجيشُ المسرّةِ يملأُ صدري

فأمّا الذي كانَ تِبناً فطار　وما كان بُرّاً ثوى في القرارْ
وأجودُ أنواعهِ ذو اصفرارْ

كأنّ الرُكامَ صِحابُ زمنْ　فجاء التذرّي كبعضِ المِحنْ
أماطَ الستائرَ عمّا استكنْ

فلمّا تحكّمَ داعي الضررْ　رأينا الكذوبَ وداداً نفرْ
وأمـا الأبرُّ ولا فاستقرّْ

وصيّرتُ مجموعهُ هرمـا　لمخروطِ شكلٍ أراهُ انتمى
وثمَّ بِرَوشمهِ رُشّما(١)

فخطَّ عليهِ بأجلى الحروفِ　حُرِستَ بعينِ القديرِ اللطيفِ
لِتُنقَذَ من شرِّ باغٍ عسوفِ(٢)

---

(١) الروشم الطابع واللوح المنقوش الذي ترشم به البيادر كالروسم بالسين المهملة ·

(٢) العسوف الظلوم الآخذ بقوة

لكي لا تُمَدَّ إليكَ يدُ إذا توَّجَ الأُفُقَ الفرقدُ
وحرّاسُ بيدرِنا رُقَّدُ (١)

ولمّا تعصفرَ ثوبُ السما وزنتْ خطايَ أوُمُ الحمى
فأستطيبُ النومَ والمطعَما

هُناكَ تمثّلَ سعيُ نهاري لديَّ فصيّرني ذا افكارِ
وأوليتُ منهُ أجلَّ اعتبارِ

. . . . .

أرى فُسْحَةَ الحقْلِ أعواميا وتلكَ السنابلَ أيّاميا
ويومَ القيامةِ قُدّاميا

ولا منجلٌ غيرَ أفقٍ يدُورْ بسيرِ سنينَ ومرِّ شُهورْ
فتدرِكُني ظُلُماتُ القبورْ

. . . . .

أرى فُسحةَ الحقلِ دارَ الوُجودِ وتلكَ السّنابلَ كُلَّ وَليدِ
ولا منجلٌ غيرَ داعي اللُّحودِ

إليها نُساقُ أُلوفاً أُلوفا ونُعرَضُ فيها صفوفاً صفوفا
ولسنا نُشاهدُ فيها حليفا

واما الحصيدُ فكُلُّ الأجلْ وما كانَ تبناً فشرُّ العملْ
كذا البرُّ برٌّ يُنيلُ الأملْ

ولا نورجٌ غيرَ دهرٍ يدورْ ليفصلَ بينَ هدًى وغرورْ

---

(٣) توج الافق الفرقد كناية عن الليل

وما جئتُ من صالحٍ وشرور

. . . . .

واما الحَصيدُ فكُلُّ الأنامِ وما كانَ تبناً فأهلُ الخِصامِ
وما كانَ برًّا فأهلُ السَّلامِ

ولا نورجٌ غيرَ سيرِ أُمورِ بهِ كَشفُ كُلِّ خفيٍّ ستيرِ
لِأَهلِ الرَّشادِ وأهلِ الغُرورِ

وثوراي روحي وجسْمي معًا علَى دَرْسِ أيّامي اجْتمعا
وفي بيدرِ العمَلِ اندفعا

وكُنتُ أنا في مَساقي انا وذانِ العنانانِ حبْلي منَى
فإنْ أخشَ رَبي حويتُ الهنا

وإن كُنتُ عن حِكمةٍ أغفَلُ فزَوجيَ يُطربُهُ المَجهَلُ
فَيَحطِمُني النازلُ الجَلَلُ

وثوراي صُبحٌ يليهِ ظَلامْ غدا بهِما نَيلُ كُلِّ المَرامْ
بركبةِ الدهرِ جرًّا الأنامْ

يُسيِّرُها كلُّ رَبِّ قدَمْ فمَنْ أحسنَ السوقَ نالَ النِّعَمْ
ومن ساءَ سوقًا حوتهُ النِّقَمْ[1]

وانَّ التذَرّي يومُ الوُقوفِ صفُوفًا لدى العرشِ اثرَ صفُوفِ
وذلكَ أيُّ مقامٍ مخوفِ

فيُطرَحُ في كلِّ وادٍ سحيقِ رجالُ الشرورِ كتِبنٍ سحيقِ

(١) كل رب قدم كناية عن انسان

لِتأْكلهُ النارُ ذاتُ الحريقِ [1]

وأمَّا رِجالُ التقى فهُمُ بنعمةِ ربهم انتظموا

ولا واحدٌ ساقِطاً منهمُ

على كُلِّ وجهٍ يلوحُ كنُورِ حرُوفٌ هيَ اسْمُ الإلهِ القديرِ

ولا سِمةٌ غيرَها للسرورِ [2]

فهبني أيا ربِّ يومَ القيامه لهم صُحْبَةً فأَحوزَ الكرامه

ولا اتجرَّعَ كأسَ النَّدامه

فأرفُلَ في حُلَلٍ من سُرورْ يَدومُ ولا شكَّ ملءَ الدُّهورْ

فحقِّقْ مُنى خاطري يا غفورْ

(٩)

تَشذيبُ الدوالي

ذَهبَ الدجى فانهضْ الى العمَلِ ليسَ الوَنى من شيمةِ الرَّجُلِ

أما ترى النَّسماتِ سارِحةً تحدو إليكَ روائحَ النَّفَلِ

والطيرَ في أغصانهِ غرِداً يَشدو مديحَ الواحدِ الأزلي

وعرائسَ الأشجارِ كاسِيةً نورَ الرَّبيعِ نفائسَ الحُلَلِ [3]

دور

إنهضْ نؤمَّ دواليَ العنَبِ فالعهدُ آذارٌ فواطَرِبي

(١) السحيق الاولى البعيد والثانية المسحوق (٢) السمة العلامة

(٣) الونى الفتور · والطير يطلق على الواحد وعلى الجمع وهنا أُطلق على الواحد

ذا آنُ تَشذيبِ الغصونِ لِكيَ تأْتي الثمارُ بِمُقْتَضى الطَّلَبِ
فعلَيكَ مِنجلكَ الحديدَ وسِرْ مُسْتَبْشِراً بالخيرِ والأَرَبِ
واذا وَصلتَ الى الكرُومِ فَقِفْ بالحمدِ وابدأْ ثمَّ بالعملِ (١)

دور

تِلكَ الأَرومةُ ذاتُ أَغصانِ كَثُرَت كفى لِلثمرةِ اثنانِ
إنَّ الغصونَ عَلَى تعدُّدِها لم يجنِ من أثمارِها جانِ
اذ قوَّةُ الإثمارِ قد ضعفَتْ لتوَزُّعٍ ما بينَ أُخوانِ
وندَى السماوات الذي رَشفَتْ لم يكفِها فشكَتْ من الغلَلِ (٢)

دور

وانظرْ هناكَ أَرومةً أُخرى في جَذرِها غُصنٌ نما شبرا
إن طال أيبسَ ما استطالَ فلا تتركْهُ ينمو ترتكِبْ وِزرا
إقطعْهُ مختارَ الأجلِّ جنَى وبذاكَ تأْتي الصالحَ الأحرى
× كم من دَخيلٍ لم يكُفَّ عنِ اا بَلْوى فجاءَ بحادثٍ جلَلِ (٣)

دور

وهناكَ أُخرى نصفُها يبِسا وترَى كذاكَ سليمَها يبِسا
فاُقطَعْ يبيساً قطعَ منتقِمٍ فعسى الذي يبقى يعيشُ عسَى
خيرٌ حياةُ البعضِ من تلَفٍ عمَّ الجميعَ فحرِّمَ الأُنسا

---

(١) نوِّم تقصد . التشذيب التنقية بازالة ما لا يفيد بقاؤُهُ . فعليك هنا بمعنى الزم (٢) بدأ هنا ببيان انواع الدوالي . الغلَل العطش (٣) الجذر الاصل . الشبر القياس المعروف وهو ما بين طرف الإبهام وطرف الخنصر . والوزر الاثم والمراد هنا الخطأ الى الارومة لا الى الله . كفَّ امتنع . الجليل العظيم

وَاُقطَعْ مع اليبْسِ القليلَ من الـ   حيِّ الضعيفِ وعنهُ لا تَسَلِ (١)

دور

من بعدِ ذلكَ كلُّ ما قُطِعا   صَيِّرْهُ في الأطرافِ مجتمعا
فاذا صبرتَ رأيتَهُ يَبِساً   والى فمِ النيرانِ مندفعا
كم أكلةٍ نضجتْ عليهِ فكُنْ   من كلِّ ما تحويهِ منتفعا
ربُّ النُّهى ما انفكَّ مكتسباً   جدوى ولو من ساقطٍ عطِلِ

دور

وإذا أتانا شهرُ نيسانِ   ملأَ المياهُ عروقَ أغصانِ
فافلَحْ بهِ الأرضينَ فلْحَ فتىً   لا مُتْنٍ عزماً ولا وانِ
وأجعلْ لها الأثلامَ واسعةً   حتى تكونَ نظيرَ خُلجانِ
بعضٌ قدِ اعتدلتْ مناهبهُ   والبعضُ منها غيرُ معتدلِ

دور

وأمرُرْ بمرٍّ فوقَ ما تُرِكا   وبزُمرةِ المفلوحِ ما سلكا
عمداً قدِ اتُرِكتْ فلاحتُهُ   إذ أرضهُ لا تقبلُ السِكَكا
واسألْ سماءَ اللهِ ماطرةً   يغدو النهارُ بوبلِها حالكا
وأبشِرْ بخيراتٍ مضاعفةٍ   تُولي فؤادكَ منتهى الجذلِ (٢)

دور

إني صنعتُ جميعَ ما مرّا   وقعدتُ ثمَّتَ أعملُ الفكرا

---

(١) اليبس ما لا خير فيه · ومن المؤكد ان اليبس متى اصاب الجفنة فتلف نصفها كان النصف الباقي بلامنفعة لان الأذى غير متحوّلٍ عنه (٢) الحلك شدة السواد اي الليل

فَبَدَتْ نَتائجُ بل جواهرُ قَدْ فـاقت بوافرِ حُسْنِها الدُرَّا
ولِذا تَراني مُشْبِهاً ثَمِلاً مَعَ أَنَّني لم أَرْشُفِ الخَمْرا
أَفلستَ تُبصِرُ كُلَّ مُكتَشِفٍ بَدعاً يميلُ كشاربٍ ثَمِلِ (١)

دور

العَهْدُ آذارٌ زمانٌ صبا فالمرءُ فيهِ يُحسِنُ الطَّلَبا
حتى اذا وافى المَشيبُ جنى من سعيِ صبوَتِهِ الذي رَغِبا
امَّا اذا أُتبِعَ الغُرورَ ولم يَحفِلْ باجزاءِ الذي وَجَبا
وافى المَشيبُ فبات في كُرَبٍ هبَّتْ على الأكبادِ كالشُعَلِ (٢)

دور

امـا الأرومةُ ذاتَ أَغصانِ كَثُرت فآمالُ امرىءٍ فانِ
لمَّا تَشعَّبتِ الرغائبُ لم يَظفَرْ وباءَ بحظِّ خُسرانِ
فالفَطِنُ لم يُكثِرْ رغائبَهُ وكَفافُهُ أَمَلٌ أَوِ اثنـانِ
وقُواهُ قـد صُرِفت لِنَيلِهما في بَلجَةِ الأَسحارِ والأُصُلِ

دور

أَمَّا الذي أَبصرتَ في الغُصنِ فتَشعُّبٌ عن مَسلكِ الرُكَنِ
إن طالَ يمحو المَكرُماتِ ولا يُبقي على شرَفٍ ولا فَطَنِ
فاطرَحْ قليلَ الشرِّ تنجُ وإن لم تطرِحهُ بتَّ في غَبَنِ

(١) الثمل السكران . البدع الغريب (٢) الذي رَغِب اي الذي رغب فيه وحذف الضمير وحرف الجر من باب الايجاز الجائز . وحفل بهِ بالى بهِ . الكرب جمع كربة وهي الحزن الذي يأخذ بالنفس

كم من حقيرٍ لم يجُدْ نما حتى أماتَ محامِدَ النُبُلِ [(١)]

دور

امـا الأرومةُ نِصفُها يَبِسا ففتىً بِقارِ رذائِلَ انغمَسا
والدهرُ بالأوجاعِ هذَّبَهُ ليُزيحَهُ عن مسلكٍ تَعِسا
فاذا تَنقَّى من شوائبِهِ وقلَى الهوىَ بحِمى الهُدى أنِسا
بابَ المَراحِمِ غيرَ منغَلِقٍ ما دامَ يومٌ ثمَّ في الأجَلِ [(٢)]

دور

لكنَّما الزَرَجونُ أهلُ شِقا قد أُفرِدوا عمَّن ذَكَوا بتُقى
فلفيفُهم بالسجنِ مجتمعٌ لا أغصنَ امتُدحَتْ ولا ورَقا
هم عِبرةٌ للناظرينَ فلا يَبغُونَ نحوَ أذيَّةٍ طُرُقا
إذْ يُبصِرونَ وَخيمَ عاقِبَةٍ حلَّتْ بسالِكِ هذِهِ السُبُلِ [(٣)]

دور

وكأنما الأثلامُ مـا انتسَقا سُبُلاً تُفيضُ النَقْدَ والوَرِقـا
فالبعضُ بالوَجهِ القويمِ أتى والبعضُ من مُتعوِّجٍ رُزِقا
والبَعضُ أعسرُ مرْكباً فلِمَن يَنحوهُ جهدٌ يَبعثُ العرَقا

---

(١) الزكن الفهم . هذا الكلام راجع الى بيان الغصن الذي ذكر عنهُ الدور الرابع

(٢) قار رذائل اي الرذائل كالقار والقار الزفت . ولله قول الصاحب ابن عباد في في ابي بكر الخوارزمي

سالتُ لركبٍ من خراسانَ جاءنا اماتَ خوارزميكم قيل لي نَعَمْ
فقلتُ اكتبوا بالقار من فوق قبره الا لعنَ الرحمان من كفرَ النِعَمْ

والبيت الاخير من هذا الدور يتضمن حكمة يجب ان تستقي دائماً لما فيها من شد العزيمة وابعاد اليأس

(٣) الزرجون هو قضبان الجفنة اليابسة بعدَ ان تقطع . الوخيم الوبي.

والبعضُ يطلُبُ الأناةَ لما في نَيلهِ من خشيةِ الزَلَلِ[1]

دور

أمَّا السَّحابُ فرحمةُ الصمدِ وبفقدِها كلٌّ أخو جهدِ
لا الجدُّ والرأيُ الأصيلُ ولا عددُ الالوفِ ووفرةُ العُددِ
تُولي غنىً عن رحمةِ الأحدِ فهي العمادُ لكلِّ معتمدِ
سلِّمْ الى المولى الأُمورُ تعشْ في ظلِّ رحمتهِ بلا وَجلِ[2]

(١٠)

جفانُ العنبْ

يا صاحِ سبِّحْ رازقًا فتَّاحا
ثمَّ انصرِفْ نحوَ الكرومِ صباحا
تزددْ مسرَّةَ خاطرٍ ونجاحا
أرسلْ بذاكَ السهلِ طرفَ الناظرِ طلقًا فيمتلىءُ الفؤادُ سرورا
واخترْ مقامكَ في ظليلِ محاجرِ تنشقْ روائحها تفوحُ عبيرا
فتميسَ في بردٍ منَ الإسعادِ[3]

دور

أنظرْ دواليْ السهلِ خيرَ دوالِ

(١) النقد يقال درهم نقد اي وازن جيد . والورق الدراهم المضروبة والمراد بالنقد والورق المال على الاطلاق . يجوه يقصده (٢) الصمد الدائم وهو من اسماء الله تعالى الحسنى . الوجل الخوف (٣) المحاجر جمع محجر او محجر وهو الحديقة

كالجَيشِ مُنتظماً لخوضِ قتالِ
مُتَقلّدا بالأَسمرِ العسَّالِ

بعضٌ كجبَّارٍ ثوى فوقَ الثرى   رفَعَ اليدَينِ لكي يُوقَّى راسهُ
وحبا ليانَ عِنانِهِ سِنَةَ الكرى   فحكى قتيلاً أُخمِدَت أنفاسه
لولا اخضِرارٌ بانَ في الأعوادِ (١)

دور

والبَعضُ منهُ قد تلملَمَ فاعتدى
تحتَ المِجَنِّ لِدَفعِ سُهمانِ العدى
يخشى الخصيمَ يُذيقهُ كأسَ الرَّدى (٢)

والبَعضُ يرسِفُ بالحِبالِ ثِقالا   لما رأوهُ قد أحبَّ مِحالا
والبَعضُ نُبصِرُهُ يمُدُّ حبالا   هوَ مثلُ صيَّادٍ بغى الأَوعالا
قد غارَ يقفوها بِمتنِ جوادِ (٣)

دور

والبَعضُ تُلفيهِ استقرَّ على العَمَدْ
حرَسِيَّ بُرجٍ طرفُهُ أَلِفَ السهَدْ
يخشى مُباغتَةَ العدوِّ اذا رقَدْ (٤)

وعَطفتُ ثمَّ الطرْفَ لِلآكامِ   فأرى دَواليَها كزُهْرِ دُجونِ

---

(١) هذا وصف للجفنة المرسلة عروقها الى اعلى (٢) المجن الترس . والسهمان جمع سهم واحد النبل والصفة للدالية الاثيثة (٣) المحال ما احيل من جهة الصواب الى غيرهِ . وهذا هو ما يُربَط بالحبال لنستقيم طريقته . والذي يمدُّ حبالاً هو ما يرسل اطرافهُ الدقيقة (٤) هذا كلامٌ منصرف الى الدوالي المعرَّشة

تحكي صفوفاً قد سَرَت بنظامِ   لكِفاحِ خَصمٍ في منيعِ حصونِ

شِيدَت كتاجٍ فُوقَ هامةِ وادِ [١]

دور

لا بل أراها نُظِمَت كسُطورِ

أو كالعقودِ تألّقت بنُحورِ

او مثلَ سورٍ قد أُحيط بسُورِ

وهُناك بينَ مصوّبٍ ومُصَعَّدِ   تلقى التحامَ الفيلقَينِ قدِ استحرْ

كمْ سمهريٍ غارزٍ في أكبُدِ   ومُهاجمٍ إذ حلَّ في السورِ استقرْ

يرجو الزّمانَ يجيءُ بالإنجادِ [٢]

دور

واعطِفْ الى تلكَ الصخورِ عيونا

تجِدِ الدوالِيَ قد بعثْنَ عيونا

او أنهنَّ قد اعتزلْنَ كمينا

فالبعضُ فوقَ الصخرِ عينٌ يرصُدُ   جيشَ العدى تُدهى بهِ الأحياءْ

والبعضُ منبطحٌ علاهُ جلمَدُ   وبكلِّ كفٍّ صعْدةٌ سمراءْ

حتى يُبيدَ عدوَّهُ بصِعادِ [٣]

---

(١) زهر دجون نجوم الليل · التشبيه بالتاج هو للحصون المنيعة ليس الأ · الآكام جمع اكمة   (٢) المصوّب ضد المصعد والمصعد من رقي في الجبل · الالتحام في الحرب الاشتباك · والفيلق الجيش · واستحر اصلها استحرّ خففت الراء للقافية اي اشتد · في هذا الدور صفة الدوالي ذات فروع منها منصرفة الى اعلى ومنها منصرفة الى ادنى

(٣) عطف مال · والعيون الثانية جواسيس · الجلمد الصخر · وفي هذا الدور صفة ما يغرس من الجفان بين الصخور فبعضها يعرش على الصخر وبعضها يمتد تحته · والصعدة الرمح

دور

لَم يَبدُ لي حَسَنٌ يُسِرُّ بِواصِرا

حتى بدا حسنٌ يُسِرُّ بصائِرا

فأخذتُ منهُ ما يحبُّ جواهِرا

سَهلُ الجِفانِ وحزنُها وصُخورُها   أرضٌ يُقِيمُ بها الفتى المُسترزِقُ

ألصَّخرُ أرضٌ قد تَحلَّ بورُها   والسهلُ أرضٌ خيرُها يتدفّقُ

والحَزْنُ يُلفَى أوسطَ الأَجنادِ (١)

دور

اما الذي أطرافهُ مِلءُ الثرَى

ففَتىً رأى خِصباً فلم يَصلِ الكرى

معَ أنَّهُ يُلفَى كذلك مظهرًا

فتَراهُ بينَ مُشرِقٍ ومغرِّبِ   يرجو اتّساعَ غِنىً ونيلَ مرامِ

ما زال يَنظِمُ مطلَباً في مطلَبِ   مثلَ الجواهرِ نُسّقت بِنظامِ

فلهُ علوُّ مكانةِ الفرَّادِ (٢)

دور

ومُلَملَمُ الأَطرافِ ربُّ تدبُّرٍ

في حلبةِ الآمالِ لم يتعثَّرِ

أبدًا يحاذرُ بادراتِ المفترِي

---

(١) السهل اجود ترب الجفنة والصخر ارداها والحزن ما غلظ من الارض . والاجناد الاماكن (٢) الفرَّاد الناظم الفريد اي العقد . هذا الكلام يعود الى النوع الاول من الدوالي المنصوص عليهِ في الدور الثاني من هذه القصيدة

أَقصى مقاتلَهُ عنِ الأَعيانِ وخفي مطالبَهُ عنِ الأَعيانِ
إدراكُ ما يبغيهِ قد أَعياني علماً فيلفى أوحدَ الأَعيانِ
بحكيمِ منهاجٍ وفضلِ رشادِ (١)

دور

أَمّا الذي أَبصرتَ ضمنَ حبالِ
ففتًى يميلُ الى سبيلِ ضلالِ
فيقادُ نحوَ الرُّشدِ بالأَغلالِ
إن القيودَ تميلُ عن سُبُلِ الأَذى فيظلُّ مرعيَّ الحقوقِ مصونا
والناس مهما أُمطروا ديمَ الغنى لا شكَّ تُلفي بينهم جانينا
قد جانبوا نهجَ الصوابِ الهادي (٢)

دور

أَمّا الذي مدَّ الحبالَ كصائدِ
ففتًى يميلُ الى حقيرِ مقاصدِ
ولذاكَ ما يجني قليلُ فوائدِ
فانظرْ لنفسكِ كيفَ تحكمُ مطلبا حتى تفوزَ بثروةٍ وكرامهْ
لا تحسبنَّ حلولَ قطرٍ أخصبا يحبوكَ نيلَ يسارةٍ ومقامهْ
إن لم تكنْ متأيدًا بسدادِ (٣)

---

(١) اقصى ابعد · والاعيان الاولى العيون والثانية الجواسيس والثالثة الوجهاء · هذا النوع من الجفان لا يظهر للعين ثمرهُ لكثافه ورقهِ وانضمامه الى بعضه

(٢) الكلام عن الدوالي العوج الاطراف · والديمة المطرة الدائمة اياماً وديم الغنى اي الغنى كالديم (٣) الكثير الحبال لا يكون مثمراً حسناً · الثروة الغنى

دور

أمَّا الذي استعلى على الأركانِ

فهو المسوَّدُ والعزيزُ الشانِ

أبدًا تراهُ ساهرَ الأجفانِ

فثمارُهُ تلفى أجلَّ ثمارِ بجزيلِ غلَّتهِ ولذَّةِ مطعمِ

فانظرْ نواجمَ كثرةِ الأنصارِ واعلمْ فضيلةَ ذاك إن لم تعلمِ

من قبلُ فضلَ تحالفٍ ووِدادِ (١)

دور

أمَّا الدوالي في الإكامِ فإنَّها

شبهُ اعتراكِ الناسِ في دارِ الفنا

يتسابقونَ لكي ينالوا المُرتجى

ما بينَ مندفعٍ بدا ومدافعٍ تجدُ الأنامَ وليسَ من متحايدِ

فاعجبْ بمنقلبٍ وآخرَ واقعٍ إذ حادَ عن نهجٍ سديدٍ راشدِ

فعدتْ عليهِ من الخطوبِ عوادِ (٢)

دور

والناسُ صفًّا اثرَ صفٍّ لم تزلْ

في حومةِ الأعمالِ ما طالَ الأجلْ

والصادقُ العزماتِ من طلبَ القللْ

فاطلبْ منَ الأمرِ الجسيمِ خطيرهُ واشكُكْ بصبرٍ لا بسعدِ جدودِ

(١) الكلام موجه الى الجفان المعرّشة. المسوّد السيد (٢) الأكام جمع اكمة وهي التلة المرتفعة والعوادي المصائب

إنَّ الذي جعَلَ الزمانَ نصيرَهُ أولاهُ ربُّكَ غايةَ المقصودِ
وغدا حماهُ ملجأَ القصَّادِ (١)

دور

أمَّا الذي يعلو الصخورَ فباسلُ
لم يضطرِبْ مما عرتهُ نوازِلُ
ما زال في دارِ الوُجودِ يُنازِلُ
جعَلَ الكفافَ كفايةً لحياتِهِ واعتزَّ شأناً باكتسابِ مكارِمِ
وقصارُما يبغيهِ من عزَماتِهِ رأسُ الخصيمِ يدوسهُ بمناسِمِ
وتراهُ دوماً في أشدِّ جهادِ (٢)

دور

أمَّا الذي تحتَ الصخورِ قدِ استقرّْ
ففتىً بلِيْنِ جانبٍ نالَ الوطَرْ
لم يزحمِ البحرَ الخضمَّ وقد زخرْ
واختارَ هاديةُ القناعةَ والرِّضى فنما لهُ غصنٌ وعزَّ عُروقا
سلكَ القويمَ وعن سِواهُ أعرَضا فغدا بأحشاء الصخورِ عريقا

---

(١) اشككُ من شكَ بسلاحهِ اذا تقلَّدهُ

(٢) الكفاف ما اغنى عن الناس . والقصار كالقصارى . المنسم خف البعير ويستعمل للقدم عامة كما قال زهير المزني

ومن لم يصانع في امورٍ كثيرة يُضرَّس بانياب ويوطأ بمَنسِمِ

وقال الراجز

اوعدني بالقيد والاداهم رجلي فرجلي شثنة المناسِمِ

يَشْتَفُّ ما مَطَرَتْ صُبُوبَ عِهادِ [1]

دور

هذا حَكِيمٌ قد أجادَ تَصَرُّفا

من بعدِ أن عَبَسَ الزَّمانُ له صَفا

وحوى الصفا المَنشودَ من قَلْبِ الصَّفَا [2]

فكُنِ الحكيمَ ولا تَرُعْكَ شدائِدُ إنَّ الحكيمَ مُحَقِّقُ الآمالِ

لو أُطبِقَتْ فوقَ الحكيمِ جَلامِدُ لرأيتَهُ يهنا وراحةِ بالِ

يَجْني اقْتِياتاً من فُؤادِ جَمادِ

١١

أنواعُ العِنَب

قد أقبلَ الفجرُ فَجافِ الرُّقادْ أرَقْدَةٌ وفَيلَقُ النورِ بادْ [3]

النَّاسُ طُرًّا خُلِقوا لِلعَمَلْ لم يُخلَقوا لِلُبسِ ثَوبِ الوَنَى

وكُلُّ ما نُبصِرُهُ لم يَزَلْ في عَمَلٍ بهِ بُلوغُ المُنَى

حتى الصخورُ الصمُّ ضِمنَ القُلَلْ ذاتُ عِراكٍ إنَّما لا يُرَى

وكُلُّ مرءٍ ذاقَ طعمَ الكَسَلْ نُبصِرُهُ باتَ أليفَ الضَّنا

يَرثي لما يَلقاهُ قَلبُ الجَمادْ

(١) الخضم الكثير الماء · واشتف ارتشف · وصيوب العهاد الامطار

(٢) الصفا الثانية الصخر (٣) باد اي بادر حذف التنوين للقافية

وقُمْ بنا نَؤُمُّ تلكَ الكُرومْ فَنجتني منها لَذيذَ الجَنَى
نَسيمُها العَليلُ يَحبو الجُسومْ خُلقًا رَضيًّا ويُزيلُ العَنا
والمَنظرُ الزاهي يُبيدُ الهُمومْ فتَرتَعُ الناسُ بمَرجِ الهَنا
وقَطفُها الناضجُ يَشفي الكُلومْ كُلُّ فتىً لمُجتَناهُ صَبا
فإن يَنَلْهُ نالَ أشهى مُرادْ

هُناكَ قَطفٌ في ثِيابِ الدُّجى كأنَّهُ هامةُ عَبدٍ ضِخامْ
صُلبٌ لدى القَضمِ يُحاكي الحَصى مَعْ أنَّهُ كجَوهرٍ في انتِظامْ
مَن ذاقَ ما يَحويهِ شَهدًا حلا يَهتِفُ من سُرورِهِ يا سلامْ
وبعضُهُ لم يُلفَ صُلبًا قَسا وطَعمُهُ يُشمِلُ مِثلَ المُدامْ
وبعضُهُ مُدثَّرٌ بالرَّمادْ[1]

وهاكَ قَطفًا كُميًّا رَداحْ يَستَلِبُ الالحاظَ نورُ الجَبينْ
قِشرتُهُ بلَحظةٍ تُستَباحْ فيَسرُبُ الأَريُ نظيرَ المَعينْ
بعضٌ كوُلدٍ قُربَ أُمٍّ رَجاحْ أعجِبْ بذي الأُمِّ وتلكَ البَنينْ
وبعضُهُ بيضٌ حَمامٍ صِحاحْ تَصبو بهِ لَواحظُ الناظِرينْ
ولُبُّهُ كأنَّهُ من شِهادْ[2]

---

(١) مدثر مغطى . هذا الكلام مختص بالعنب الاسود

(٢) الكلام عن العنب الابيض . يسرب يجري . الأري العسل اي ماء العنب

وهاك قطفاً لونهُ عندمي لا يقدرُ المرء على حمله
كالخدّ من حسناء او مبسم قد أجمع الناسُ على فضله
لانّهُ بلذّة المطعم منقطع الوجود عن مشبه
تلفي السوى لديه كالحصرم فكلُّ رغبة به تنتهي
يجنيه من يقطنُ أسخى بلاد(١)

وهاك قطفاً لونهُ كالنضار او مثلُ شمس في أوان الغروب
حاكى أصابعاً لذات السوار وبات محبوباً لكلّ القلوب
تراهُ في أوراقه ذا استتار وهو دراريٌّ زهت لا حبوب
مولى دواليه عظيمُ اليسار عليه هطّالُ الاماني يصوب
فهو بغيره قليلُ اعتداد(٢)

أمعنْ بما تُبصرهُ خاطرا تجنِ من الفوائد المشتهى
من شأنهُ أن يرسل الناظرا بغير فكرٍ لم يكنْ ذا هدى
فكنْ لسيف فطنةٍ شاهرا ولا تكنْ محتقراً ما ترى
تكسَ رداء حكمةٍ فاخرا يمنحك السؤددَ بين الورى
وهو رجاءٌ ليس سهل القياد

(١) الكلام عن العنب الاحمر . العندمي الاحمر . يقطن يستوطن
(٢) الكلام عن العنب الاصفر . عظيم اليسار اي وافر الغنى

اني أرى الكرمةَ ربَّ التُّقى زَكا بأصلِهِ وأغصانِهِ
أوراقهُ سيرتُهُ في الملا وحملهُ قويمُ إيمانِهِ
هذا بدا مرأى وذاكَ اختفى وبهما ضاء سنا شانِهِ
وكيفما الطرفُ اليه رمى يرى عمياً فيضَ إحسانِهِ
وشكرهُ منتشراً في العبادْ

لا بل أرى الكرمةَ هذا الوجودْ وما حوت سكانَ هذي الديارْ
بينهمُ بيضٌ كرامٌ وسودْ وبعضهمْ تبصرهُ ذا اصفرارْ
كلٌّ بهِ مولىً شريفٌ يسودْ وفاسدٌ يأتي بشرِّ الثمارْ
فالشهمُ من حنَّت إليهِ الكبودْ والسفلةُ الأبصارُ عنهمْ تدارْ
لأنهم أهلُ الأذى والفسادْ (١)

أمَّا الذي يشابهُ الأعبُدا فذلكَ العاملُ في الدُّنيا
يظلُّ في أعمالِهِ مجهدا وعزمهُ كالصخرِ بل أقسى
فان تراخى في صنيعٍ يدا يحرمُ نوالَ النعمةِ الجلَّى
وإنْ يزدْ تكاسلاً أُبعدا وباتَ من ذلكَ في بلوى
لا تنتهي حتى قدومِ المعادْ

وما تراهُ مشبهاً أُسْرةً فهوَ كأنموذجِ فضلٍ مبينْ

---

(١) السفلة من الناس سقاطهم

فتُبصِرُ الأُمَّ غدت قُدوةً على خُطاها جاء خَطْوُ البَنين
مَن يَنتخِبْ ذاتَ التُّقى زوجةً بُشراهُ بالسلائلِ الصالحين
ومَن أساءَ مُغفِلاً حِكمةً رأيتهُ عُدَّ معَ الخاسرين
ذاكَ العِدادُ الشرُّ شرُّ العِداد (١)

أمَّا الذي شابَهَ ايدي المِلاحْ ونالَ عندَ الناسِ أسمى أعتبار
فهوَ بيانٌ ما لِكَفِّ الرَّداحْ مِن أثرٍ في كُنْهِهِ الفكرُ حار
إنَّ عَلَى مَسعَى الحِسانِ النجاحْ وحسبَما يَشأْنَ ذا الكونُ دار
فما بهِ من صالحٍ أو طَلاحْ يُعزى إليهِنَّ فهُنَّ المَسار
وهنَّ مَن يُلبِسنَ ثوبَ الحداد (٢)

أمَّا الذي نُبصِرُهُ حِصرِما فعمَلٌ يكونُ قبلَ التَّمام
مَنِ اجتناهُ يجتَني مغرَمــا لو كانَ ذا صبرٍ لنالَ المَرام
فاصبِرْ لكي تَجني الأماني فما يجني عجولٌ غيرَ خُسْرٍ وذام
لكُلِّ شيءٍ أجلٌ عِندَمــا يأتي التمسةُ فتُعدَ الهُمام
والثاقِبَ الرأيِ الرفيعَ العِماد (٣)

---

(١) الأُسرة العشيرة (٢) الكنه حقيقة الشيء.
(٣) الخسر الخسارة . الذام الذم

١٢

قِطافُ ٱلعِنَبِ

أيقظَنِي ٱلنَّسيمُ في ٱلصباحِ ... لِلسَّيرِ في الوِهادِ والبِطاحِ
فَطَرَدَ ٱلكَرى وقالَ هُبَّ ... يومُ ٱلقطافِ قد دَعا فلَبِّ
فقمتُ أسعى فأرى الأُلوفا ... تَسارَعُوا وٱنتَسَقوا صفُوفا
ذاكَ تَراهُ سائقاً بِغالا ... وذا تَراهُ حادِياً جِمالا
وثالثاً يُؤَبِّبُ بالحميرِ ... لِتَبذُلَ المجهودَ بالمَسيرِ (١)
ورابِعاً يحملُ سلاًّ ضَخْما ... وكُلُّ فَردٍ راحَ ينحو كَرْما
حيثُ تَرى الفتيانَ والعذارى ... تلهَّبوا بغَيرةٍ شِرارا
وجمعوا القُطوفَ كالتِلالِ ... لِتُسرِعَ الرِّجالُ بالأَحمالِ
فرَفعوا الأَحمالَ ثمَّ ساروا ... كما يَسيرُ الفَيلقُ الجرَّارُ
حتَّى انتهى ٱلسيرُ الى المَعاصِرِ ... في وَسَطِ الحقولِ والدَّساكِرِ (٢)
هُناكَ أَرضٌ فُرِشَت حَصيرا ... ونُسِّقَت لِأَهلِها سُطُورا
قد حدَّدَت مَناهجَ الآتينا ... وأوضحت مسالِكَ الماضينا
فدفَعت عواقِبَ الزِحامِ ... لأَنَّهُ يُفضي إلى الخِصامِ
فَسارَ كُلُّ قادِمٍ في جدْوَلِ ... ووَضَعَ ٱلقُطوفَ بالتَّمهلِ
وعادَ ينحو ٱلكَرمَ دَوراً ثانِيا ... يَنقُلُ ما كانَ قِطافاً باقِيا

---

(١) اهاب به زجره يسير (٢) الدسكرة القرية

ولم يزَل يقدمُ ثمَّ ينثني حتى انتهى من نقلِ كلِّ ما جُني
بعدئذٍ قد وزّعَ القطوفا فيالقًا تكاثفت صفوفا
بعضٌ أقيمَ واحدًا فآخرا بقربهِ نخلةً تسامرا
فثالثًا فرابعًا فثلّه من خيرةِ الجنودِ تتلو حلّه (١)
قدِ استقرّوا في مكان عالِ حرّاسَ برجٍ شاهري النصالِ
لا يبرحون الليلَ والنهارا يلقون قرًّا قارسًا ونارا (٢)
فجمدت أطرافهم جمودا نالَ بهِ مولاهمُ المقصودا
وابتهجت غلمانهُ قلوبا وابتدروا ليجمعوا الزبيبا (٣)
والبعضُ كان حصرمًا فجُمِعا وضمنَ ماعون كبيرٍ وُضِعا (٤)
واستنزفوا مياههُ عصيرا وطرحوا الثفالَ والقشورا (٥)
ثمَّ ذكا من تحتهِ الوقودُ حتى عرا عصيرَهُ الجمودُ
وصيّروهُ بعدَ ذاكَ كُتَلا في غيبِ بلّورٍ نقيٍّ جعلا
تحفظهُ القيّمةُ الرشيده لحاجةِ المآكلِ العديده (٧)
والبعضُ ضمنَ البيدرِ استقرّا لكي يذوق بعدَ ذاكَ عصرا
ويبدرُ العصيرِ بعضُ قطعِ أو قطعةٌ من حجرٍ متّسعِ
أملسُ وجهٍ شابهَ الرخاما قد أحكمت قطعهُ إحكاما
وسوّرت من كلِّ جانبٍ فما ترى هناكَ جانبًا منثلما
لكنْ رأيتُ جانبًا منخفضا شيئًا فشيئًا حسبما الصنعُ قضى

(١) الثلة الفرقة والحلّة القبيلة (٢) النار استعارة لحرارة شمس النهار
(٣) هذا بيان لعمل الزبيب (٤) الماعون وعاء (٦) الثفال الزبد
(٧) القيمة السائسة المدبرة كناية عن المرأة

وَقد أُقيمَ عندهُ آبارُ ... لها بصُلْبِ الجلمدِ احتفارُ

والبعضُ بالبناء لا بالحَفْرِ ... أُنشئَ بئرًا يا لها من بئرِ

ووصلَ البيدرَ بالآبارِ ... منافذٌ من فُرَجِ الأسوارِ

لما اكتفوا من طرحِ ذاك الفيلقِ ... بكفِّ قاسٍ مهجةً لم يُشفقِ

وطرحوا من فوقهِ الترابا ... حتى غدا مُشابهًا قِبابا

ذا خيرُ تُربٍ قد زها اصفرارا ... لأجلِ هذا قد دُعي حوّارى (١)

جاءَ أوانُ الوطء بالأقدامِ ... من الفتى والكهلِ والغلامِ

فغُودِرَ العصيرُ مثلَ السيلِ ... مالَ على الأطرافِ كلَّ الميلِ

فصارَ يجري ما علا للأسفلِ ... كجدولٍ مجاورٍ لجدولِ

حتى أتى منفذهُ فانثالا ... في بئرهِ يشابهُ الشلالا

ولم يزالوا يعصِرون عصرا ... حتى رأوه لا يفيضُ قطرا

فجمعوه هرمًا عالي الذُرى ... بزرجونٍ قد غدا مسوَّرا

ووضعوا صخرًا عليه فجرى ... ما كان من أمواههِ مُدَّخرا

وبعدَ ذاك طرحَ المعصورُ ... وانتظروا حتى صفا العصيرُ

فوضعوا ما راق ضمنَ مرجلِ ... ضخمٍ يحاكي حجرةً في منزلِ

له مكانٌ محكمُ البنيانِ ... أسفلَهُ مواقدُ النيرانِ

فألهبوا من تحتهِ الوقودا ... شيئًا فشيئًا يطلبُ المزيدا

مغادرًا ذيالك العصيرا ... نظيرَ موجٍ هائلٍ أثيرا

---

(١) الحوّارى الدقيق الابيض وهو لباب الدقيق ثم استعمل لذلك النوع من التراب على وجه يشعر بجودته

بِقُربِهِ فتىً يظلُّ عانيا بِموجهِ فيدفعُ الدواهيا
حتى اذا العصيرُ حاكى العسلا لونًا وطعمًا طيبًا وهيكلا
يُفرَغُ ما أُغلي في أوانِ معدّةٍ من سالفِ الزمانِ
فكان دِبسًا هو خيرُ مقتنى من يتناولْهُ يجدْ كلَّ المنى
وبعضهُ يُعصرُ دونَ ترْبِ حتى يفيض ماؤهُ في القُلْبِ (١)
فيرفعونهُ على النيرانِ دقائقًا تُعدُّ أو ثواني
ثمَّ يُصبُّ داخلَ الدِنانِ فكانَ ما يُدعى بنتَ الحانِ
لهُ مذاقٌ كمذاقِ الشهْدِ وطيبُ عرفٍ مثلُ عرفِ النَدِّ
والبعضُ بعدَ عصرِهِ لا يُوضعُ فوقَ ضِرامٍ نارُهُ ترتفعُ
لكنهُ يُوضعُ في جرارِ تُختمُ بالصلصالِ او بالقارِ
حتى اذا مرَّ عليهِ شهرُ وفُتحت يُلفى هناكَ خمرُ
مذاقُها لا شكَّ يُلفى مرًّا وهوَ على التحقيقِ أقوى سكرا
إن أفسدتها النارُ او رياحُ فالخلُّ خيرُ الخلِّ تلكَ الراحُ

. . .

عقيبَ أن أجريتُ كلَّ هذا رُمتُ لنصلِ همّتي إشحاذا
رأيتُ ذاكَ الكرمَ هذي الدُنيا والقطفَ سيرَ الناسِ نحوَ الأُخرى
والموتُ يأتي فيعمُّ الكلَّا لمْ يعدُ شيخًا هرِمًا او طفلا
كلٌّ متى حانَ الأوانُ قُطفا وعن بني أبيهِ ما تخلّفا
وقد رأيتُ ما تعالى صبرًا أشبهَ ما بينَ البرايا زمرا

(١) جمع قليب وهو البئر

وقد رأيتُ المكتسي الترابا   نظيرَ من يحتملُ الأوصابا

إنَّ بذاك التربِ إهباطَ العكرْ   فينجلي العصيرُ خلواً من كدرْ

كذاك من يصابُ بالأحزانِ   يسلّمُ الأمورَ للرحمانِ

فهوَ على الشدّةِ ذو ابتسامِ   تحسبهُ يرفلُ في إنعامِ

ثمَّ ترى ذاك العصيرَ أغليا   بالنارِ يحكي الأنقياءَ الأتقيا

تحرقهم نيرانُ كلِّ صارعِ   بشرِّ خطبٍ وبمرٍّ فاجعِ

فلا تزيدهم سوى ابتهالِ   وصالحِ الأقوالِ والأعمالِ

فالنارُ إن حساً وإن عقلاً بها   قد جعلَ اللهُ بلوغَ المشتهى

حتى الذي يذوقُ طعمَ النارِ   كلحظةٍ تمرُّ بالأبصارِ

إن كانَ ممن يقبلُ التأثرا   يصيبُ منها ما يطيبُ أثرا

فلا تشكُ الحادثَ الجليلا   لعلَّ منهُ نيلكَ المأمولا

أمّا الذي لم تعرهُ الأوصابُ   ولا أتاهُ الموقدُ اللهّابُ

فخبزهُ مرٌّ وأيُّ مرِّ   يجرُّ للشرورِ أيَّ جرِّ

أمّا الزبيبُ ففتى لم يزلِ   في حلبةِ الأحزانِ حتى الأجلِ

خطوبهُ ليست بنارٍ واقدهْ   لكنها على اتصالٍ وافدهْ

قد صيّرتهُ مثلَ تبرٍ منظرا   وجعلتهُ مثلَ شهدٍ مخبرا

فيا فتى يشكو توالي المحنِ   أقصِ عن الفؤادِ شكوى الزمنِ

واعلم يقيناً أنَّ هذي النوبا   تولي الحكيمَ مأرباً لا عطبا

فكن حكيماً واجتلِ الذكرَ الحسنْ   فهو أجلُّ أثرٍ مدى الزمن

طوباكَ يا من أحسنَ التصرّفا   وكانَ عن طرقِ الأذى منصرفا

لكَ الهَنا هُنا وفي دارِ البَقا　　بما يراهُ الحائرُ اللبرّ شقا
فسرْ بخوفِ اللهِ واعلمْ أنَا　　مَن يتّقي المولى أنيلَ الأمْنا
وكلُّ خطبٍ قدعرا أو يعرو　　يعظُمُ فيه للتقيّ الأجرُ
فاسأَلْ مِنَ اللهِ على الدوامِ　　صبْراً ينيلُ الخيرَ في الختامِ

﴿ ١٣ ﴾

حديقة الازاهير

إبرحْ فقد أشرقت براحِ　　وكلّلت هذهِ الإكاما
ما أجملَ السيرَ في الصباحِ　　بينَ الرياحينِ والخُزامى
والطلُّ سلكٌ على الأقاحي　　بل عقدُ دُرٍّ زها انتظاما
وبَقْعةُ الشمسِ في البِطاحِ　　كثغرِ خودٍ روى ابتساما
مُبَدِّداً نورُهُ الظَّلاما
أما ترى هذهِ الوُرودا　　ألوانُهـا تسلُبُ النّواظرْ
أحمرُهـا شابهَ الخُدودا　　من كلِّ وجهٍ كالبدرِ سافرْ
أبيضُهـا قد حكى برُودا　　من حسنِ سَعيٍ لِكلِّ طاهرْ
أصفرُهـا خلتُهُ نُقودا　　بنَيلِها سُرَّ كلُّ باسرْ
وقال أُروي بها الأُواما
والنرجسُ الغضُّ عينُ رِئْمِ　　طاهرةٌ زانَهـا الفتُورُ
ما مُثِّلَتْ لِامرِىءٍ بِوَهْمِ　　إلاَّ ثوى قلبَهُ السرورُ
أعجبْ بها حُلِّيَتْ بِسقْمِ　　يُضْني كما أصبتِ الخُمورُ

لا بل كبيضِ النصالِ تُضمي　　قلبَ أمرىءٍ ملؤهُ شعورُ

قد راقهُ حسنُها فهاما

كم سلبَ الطرفَ يا ثمينُ　　أتمَّ نوراً منَ اللآلي
أصابَ من قالَ يا ثمينُ　　أُوتيتَ حقّاً آيَ الجمالِ
كأنَّكَ الصاحبُ الأمينُ　　صفاءَ قلبٍ في كلِّ حالِ
بقربهِ يمحي شجونُ　　موفَّرُ العدِّ كالرِّمالِ

شابهَ ضمنَ الحشا ركاما

وانظرْ الى هذهِ الزنابقْ　　بردُ سليمانَ ما حكاها
هيفاءُ فضيَّةُ المناطقْ　　أسنى اليواقيتِ من حلاها
حنَتْ على وجنةِ الشقائقْ　　كالأمِّ تحنو على فتاها
والرُّمحُ في القلبِ منهُ غارقْ　　فمزّقت للأسى حشاها

وحزنُها كاللظى أضطراما

واعطفْ الى الزَّعفرانِ طرْفا　　تُبهجْ فؤداً بالزَّعفرانِ
تراهُ صفّاً يسوقُ صفّا　　كالجيشِ في حربهِ العوانِ
والبعضُ فوقَ التُّرابِ أغفى　　كأنَّهُ شاربُ الدِّنانِ
اصفرُّ والجسمُ قد تعفّى　　كمَنْ دهاهُ حدُّ السِّنانِ

في مجالِ الكفاحِ ناما

والآسُ في غصنهِ كعاشقْ　　معْ حبّهِ يطلبُ استتارا
يرهبُ من لحظةِ المسارقْ　　تكشفُ عن سرِّهِ الستارا

فهوَ بلجِّ الأفكارِ غارِقْ والقلبُ منهُ يؤجُّ نارا
لذاكَ قد مزّقَ المناطِقْ وقد حباهُ الخوفُ اصفرارا

نخلتهُ شاكياً سقاما

وانظرْ الى ذلكَ القرنفُلْ فهوَ بكلِّ البها تقلّدْ
قوامهُ كالقناةِ يعسلْ وخدُّهُ أحمرٌ مورَّدْ
عليهِ دمعُ السحابِ يهطلْ شوقاً الى ثوبهِ الزبرجدْ
وكمْ نراهُ بالقيدِ يحجلْ إذ تقصدُ الريحُ أن يمدَّدْ

للتُّربِ او تقصفَ القواما

أبهجْ بنمّامهِ النضيرِ وحبقِ طيّبِ الروائحْ
هذا يحاكي درَّ الثغورِ وذاكَ يحكي عطرَ القرائحْ
إليهما عطفةُ النحورِ ترجو مزيداً من فيض مانحْ
راشفةً خمرةَ السرورِ فالقلبُ مثلُ الهزارِ صادحْ

هذانِ من أصطفي هياما

وبلسانٍ سبى جناني مثل شباكٍ او كفِّ بكرِ
باطنها لامعُ الجمانِ ظاهرُها من سبيكِ تبرِ
كم ذاقَ مغليهُ المعاني منَ التصاريفِ داءَ صدرِ
وكم جريحٍ نالَ الأماني بها فيلفى نظيرَ بدرِ

يُرسلُ أنوارهُ ابتساما

ونفلٍ قربهُ الخزامى صفّاً الى جانبِ البنفسجْ
وحاذيا الشيحِ والثماما أمامَ منثورهِ المتوّجْ

والعنبر المقتدي إماما   داني ملاباً أبهى وأبهج
هذا تراه أوفى وساما   وذا شذاه العطير أنفج
وكل فرد يلو السآما

يا حسنها والمكان زاهر   من بلجة الكوكب المنير
وقام فوق الغصون طائر   شدا على نغمة الغدير
أطرافها صفقت مزاهر   ترقص من نسمة السرور
فكل قلب هناك ذاكر   مراحم الباري القدير
إذ جوده هاطل دواما

هذي الأزاهير مقتنيها   يبهج نفساً يسعد حالا
إن لم تصدق سل بائعيها   كم أمطرت في الجيوب مالا
أصولها عند عارفيها   داووا بها من شكا اعتلالا
وكل دار تحل فيها   طابت لسكانها ظلالا
وقبل كانت تعلى مقاما

يا صاح ما هذه الجميله   إلا مثال . . . فما تماثل
تحكي بأوصافها الفضيله   عرفاً وفضلاً تشمل الفضائل
غاياتها كلها جليله   فتولد الأنعم الجلائل
ترد عين العدى كليله   لاجمة ألسن العواذل
مكسبة ربها احتراما

أيضها ميزة العفاف   وكبح نفس عن المآثم
وجودة القلب والتصافي   والصفح عن شانىء مخاصم

أَحمرُها غيرةٌ تُوافي على ذوي البِرِّ والمكارِمْ
أخضرُها غلّةُ القطافِ لخيرِ حقلٍ حياهُ ساجِمْ
فربُّهُ أدركَ المراما
بل هي تحكي شملَ الكرامِ كلٌّ لهُ ميزةٌ تجلْ
هذا يداهُ فيضُ الغمامِ لها على المعوزينَ هطلْ
وذا لهُ الرأيُ كالحسامِ بهِ جيوشُ الأذى تفلْ
وذا خطيبٌ حرُّ الكلامِ حديثُهُ كالشهادِ يحلو
وذا ودودٌ يرعى الذماما
بل هي رسمٌ لدارِ خلدِ فما بها غيرُ ذي صلاحِ
قريرُ عينٍ أليفُ رغدِ من الأماني ضافي الوشاحِ
أنفاسهُ المسكُ آيُ حمدِ للباري الفائقِ السماحِ
فمنتهى منيتي وقصدي أعدُّ منهم بعدَ البراحِ
هذا الذي أرتجي دواما

١٤

غرسُ الحور

خلعتُ الكرى والنورُ في الأوجِ ما انتشرْ ومن نامَ ملءَ الليلِ ينهضُ في السحرْ
فسرتُ الى الحمَّامِ أنتزعُ الوضرْ بماءٍ برودٍ نفعهُ في الورى اشتهرْ
فإنَّ اغتسالَ المرءِ في الصبحِ والمسا يُعيدُ قوى كلَّتْ وينفي قذى رسا
ويولي انشراحاً طارداً عاملَ الأسى

اذن فَلْيُواصِلهُ ٱلفقيرُ وذو الغِنى

وسرتُ وزادي في جرابي ومِعولي — عَلى كَتِفي والحمدُ للهِ يعتلي
بأقدامِ لا عادٍ ولا متمهِّلِ — الى أن نبا عن ناظري كلُّ منزلِ
فعُجتُ الى بطحاء قربَ معينِ — كواضحِ فرقٍ في انتصافِ جبينِ
وسُقتُ إليه الماءَ غيرَ ضنينِ
فاصبحَ طوعاً للمعاولِ ما جسا

وثمَّ أثرتُ العزمَ كالنارِ تلهبُ — فراحت أداتي داخلَ التربِ تنقبُ
مَضاربُها مثلُ السطورِ ترتَّبُ — ورشحُ جبيني كالميازيبِ يسكبُ
وحينَ تمامِ العزقِ أوقفتُ معولي — وأحسنتُ خطواً نحوَ فيءٍ مظلَّلِ
وبعدَ ارتياحٍ قد تناولتُ مأكلي
وما أطيبَ الخبزَ القفارَ على ٱلعنا

وجئتُ بمرٍّ في هراوتِهِ حبلُ — فعاضدني خلانِ ضمَّهما الشغلُ
فكلُّ ترابِ ٱلعزقِ كانَ لهُ نقلُ — فبات إكاماً قربها انتسقَ السهلُ
وعدتُ الى عزقٍ كما كنتُ أوّلا — وأرفعهُ أيضاً وليسَ مبلّلا
وبعدئذٍ ذاكَ ٱلترابُ تهيَّلا
فأعلاهُ دانيهِ ودانيهِ قد علا

وأرجعتُ آكامي خلوًّا من الحصى — خنادِقُها مثلُ ٱلسطورِ على ٱستوا
ذراعٌ ونصفٌ شامخُ الخندقِ ارتقى — وأسرعتُ أبغي الحورَ أغرسهُ بها
هوَ الحورُ ان داني المساكنَ يفسدُ — هواءً فعن أرضِ المساكنِ يبعدُ
وما عرضت أوراقهُ ليسَ يحمدُ

جواراً ولكن لا غنى عنه للورى

بدأت بنوع منتماه لفارس   له فنن عاماه مرّا لغارس
وأغرسه مرقى ذراع لدائس   بعيداً ذراعاً عن أخيه المؤانس
وثنيت بالرومي أقطعه عقد   ذراعاً ذراعاً نحو شبر قد ابتعد

وثلثاه في طي الترائب قد رقد

وأطلقت من ماء ذراعاً على الثرى

وواصلت سقياه ولا أشتكي التعب   مصيفاً خريفاً بالجرار وبالقرب
وبعد حلول الحول أبعدت ما اقترب   لأغرسه حيث الضفاف جرت حبب
فينمو على تلك الضفاف بسرعة   ويصبح ضخماً ذا فروع عديدة

وأغرسها في بقعة إثر بقعة

لعامين ما بين الخريف الى الشتا

وأرجع للرومي من بعد عامين   فأقطعه فوق الحضيض بشبرين
فأدنى نمو الجذر إعطاه فرعين   أجد ولا أبقي سوى الوافر الزين
وذا القطع أدعى للنمو فيبسق   نظير شموع حيث لا نكب تطرق

بعشر سنين في الاعالي تحلق

فيبصرها رب البطاح كما ابتغى

فيا حسنها منها قيام المساكن   وإعداد أهراء ونظم المخازن
فليس غنى عنها بكل المواطن   ويثني على استثمارها كل فاطن
فانا بها نستمطر الغيث والندى   وجني لباب النفع منها تعددا

وإن نال منها الجسم ما نال مقصدا

فقد نال منها الروح أفضل ما اشتهى

روى ما حلا فوق المنابر موردا بإيضاحه للمتقي سبل الهدى

وأبدى لسان الصمت نهجاً مسددا إلى ما به الخير الأكيد موطدا

روى: الحور منه الخير والشر للبشر وذو اللب يجني الخير مع نفيه الضرر

فيغرسه نائي المكان عن المقر

فلا ضرر منه وإن أفسد الهوا

وان كان ذاك الترب مع أنه جاس غدا ليناً بالماء طوعاً لغراس

إذن لا مراء أن من قلبه قاس يلين مشوقاً من عوامل إيناس

فلا ندع عن اللطف في القول والعمل فكم منع البلوى وكم حقق الأمل

ومن درعه لطف بحزم هو البطل

وشرط لطيف الخلق أن يقلي الريا

وإن كان عرق الأرض يجهد عاملا فينضح منه الرشح كالغيث هاطلا

فتهذيب أخلاق لمن كان جاهلا أشد عنا قلب وأوفى شواغلا

فيا أيها الاستاذ عبئك موقر فكن رب عزم ثابت لا يغير

فان بجهد روض مسعاك يثمر

وباب العنا منه الوصول الى المنى

وإن كان إخلاء التراب من الحصى مفيداً لينمو الحور في باطن الثرى

فكم يا ترى بذل اهتمام على الفتى لينمو مفطوراً على شيم العلى

فحيث أعد الترب طاب غراس وليس يداني العاملين أياس

فكان على هذا البناء قياس

مُحيطُ الفتى أُسُّ السَّعادةِ والشقا

وإن كانَ في الحَورِ اختلافٌ تَعَيَّنا فذا فــارسيٌّ ذو نُمُوٍّ تَبَيَّنا
ولكنَّهُ هشٌّ ضعيفٌ لدى البِنا وصاحبهُ الروميُّ أطولُ أزمُنا
عَلَى أنَّهُ أقوى عَلَى كلِّ عاملِ ففي ذا دليلٌ قد هدى كلَّ عاقلِ

عَلَى ميزٍ في الناسِ غيرِ عواطلِ
فلا ميزةٌ الّا بها غرضٌ حلا

وإن كانَ جدُّ الأصلِ أنمى لِفرعِهِ وخيرُ سبيلٍ يُستحَبُّ لِنفعِهِ
فإنَّ بلاءً لا نُطيقُ لِدَفعِهِ يُضرِّمُ في الأكبادِ ناراً بوقعِهِ
سنجني بِصبرٍ من توالِيهِ ما يُرجى فضائرُهُ بادٍ وفيهِ المُنى تُخفى

وفي صادقِ الأمثالِ من قِدَمٍ يُروى
بقيَّةُ حدِّ السيفِ أكثرُ في الحصى (١)

وإن كانَ ذاكَ الحورُ بِكرَمِ مُغرِسا اذا كانَ ذا أصلٍ بطيِّ الثرى رَسا
إذَن فالفتى يغدو لهُ المجدُ مُكتَسى متى كانَ عن آباءِ صِدقٍ تأسَّسا
فحافِظْ عَلَى ما قد بناهُ أبوكا لِتُحرِزَ بالذكرِ الحميدِ صكوكا

وتُورِثَ بُنيانَ الفخارِ بَنيكا
وتحظى بذِكرٍ مُستطابٍ عَلَى المدى

---

(١) اي اكثر في العدد

١٥

زَرْعُ التوت

يا صاحِ إنَّ الخلَّاقَ مولانا — مَن كُلُّ شيْءٍ بِأَمرِهِ كانا

في كُلِّ شيْءٍ أجادَ إحسانا

وفهمُهُ لا يُقاسُ بالمَثَلِ — يَبدو بما جاءَهُ من العملِ

وَهوَ يُثيرُ الرُّعودَ في القُلَلِ — متى زَعمْنا لم يُحْسِنِ العملا

فإن يكُنْ ذلكَ العظيمُ نَرى — حِكمتَهُ قد بدَت بما فطرا

فكُنْ بهذا الجلاءِ مُعْتبِرا

وكُلُّ شيْءٍ تُبدي لهُ صُنْعا — أَبذُلْ بإتقانِ وَضعِهِ الوسْعا

تَجْنِ مجاني إحكامِهِ نفْعا — فخيرُ عبدٍ مَن ربَّهُ امتثلا

وانهضْ ونورُ الصَّباحِ لم يَلُحِ — نَشيطَ عزمٍ والقلْبُ في فرَحِ

فمطلَعُ اليُمنِ طَلعةُ الصُّبْحِ

(عليلُ رَوحٍ رَيَّاهُ تُنعِشُنا)[٢] (هيَّا بنا للخلاءِ يُطرِبُنا)[١]

(كالسيرِ فجرًا نُجاوِزُ الحِللا)[٢] (هذا أوانُ الرَّبيعِ لاحَ سَنا)[١]

يا سَعدَ يومٍ نهضتُ في الفجرِ — كأنَّني قاصِدٌ وطا النهرِ[(١)]

مُبتَعِدًا جانِبًا عنِ البحرِ

وجِئتُ حقلي فمِعوَلي ابتدرا — إلى الثَّرى كالغزالِ قد نفرا

والعزمُ في الصدرِ يُرسِلُ الشَّررا — والقلبُ بالعزقِ شابهَ الثَّملا

ومِعوَلي باليسارِ أرفعُهُ — من فوقِ رأسي يَهلُّ مطلعُهُ

---

(١) الوطا ما بين النشوز والاشراف ٠ ووطا النهر محل بين بيروت وجونه

كلتاهما في التراب تدفعهُ

وذاك أدعى لقوّة اليمنى فالعزم أوفى في الجانب الأدنى

وان نبا العزم أوّلاً ثنّى ففاز تكرارهُ بما أملا

وبعد عزق يغادر التربا كالرمل رخواً لا يحتوي عشبا

غيثُ جنى التوت فوقهُ صبّا

وفي مطاوي التراب أطويهِ شأني بالبزر حين ألقيهِ

ثمّ أحيل المياه تسقيهِ فهو بسقياه قد نما عجلا

وحين وافى دور النموّ سما فبات يعلو وجه الثرى قدما

نظير حبّ العنقود مزدحما

لا بل كرجل الدّبى أتى زحفا يسير صفّاً ملاصقاً صفّا [1]

بل سنبلاً فوق بعضه التفّا فالطرف لما بدا لهُ جذلا

وبعد حين جعلت أخرجهُ وفي المكان الرحيب أدرجهُ

يبلغ حدّ الذراع منهجهُ

أحكم تغييب جذره بثرى هبّة نكب الرياح محتذرا

مفتقداً حالهُ فلست أرى إلّا بتسميد أرضه شغلا

ومرّة في الأسبوع أسقيهِ لكنما البحر إذ يدانيهِ

ما انفكّ يحبوهُ من غواديهِ

وفي خريف لعامه الثاني يبدأ تشعيبهُ لأغصانِ

ففيه يبدأ بهجر أوطانِ الى سحيق الديار مرتحلا

(١) الدبى الجراد

بَعضٌ عَلى أَرؤُسِ الجِبالِ علا ... وبعضُهُ واسعَ السهولِ نحا

وثالثٌ في رِيفِ البِحارِ ثوى

فأَوَّلٌ تربةٌ خلا ماء ... بالطَّبعِ يُلفى أَجفَّ أَهواء

فهوَ نموًّا أَشدُّ إِبطاء ... وعنهُ طرفُ الزَّمانِ قد غفَلا

وساكنُ السَّهلِ يأْلفُ الماء ... دورَينِ في العام رامَ إِسقاء

إِنْ أَخرَ السقيُ ذاقَ دهياء

فتحرُثُ الأَرضُ ثمَّ تنحدِرُ ... سيُولُ ماء يُروى بها الشَّجَرُ

تظَلُّ ملأَ النهارِ تبتدِرُ ... شبيهَ جيشٍ عَلى العِدى حملا

وساكنُ الرِيفِ بعضهُ يُروَى ... والبعضُ ينمو خلواً منَ السُّقيا

ومَن يعِشْ بالسُّقيا يكُنْ أَنما

وهوَ أَشدُّ الجميعِ أَخطارا ... بعاصفاتٍ تهبُّ أَعصارا

أَو بسيولٍ طغَينَ أَنهارا ... لا ترحمُ الأَصلَ والفروعَ ولا

والكلُّ عزقَ الأُروضِ يجديهِ ... يَدفَعُ ضغطاً عنهُ وينفيهِ

ومن صقيعِ السَّما ينديهِ

وبذلُ سعيٍ صبحاً الى الغسقِ ... لا لثمارٍ تجودُ بل ورَقِ

فورَقُ التوتِ خيرُ مرتزَقِ ... عَلى رؤُوسِ المتوَّجين علا

معْ أَنَّ أَثمارَهُ لمن ذاقا ... كالشَّهدِ طعماً بل شأْنها فاقا

إِن لم تكن ما تجودُ أَوراقا

لاسيَّما ما يُدعى بفرصادِ ... شرابُهُ منعشٌ لأَكبادِ

فالوافرُ النفعِ كلُّ إِجهادِ ... لنيلهِ لا لغيرهِ بُذِلا

وحينما امتدت الأفانين كان لها بالرياح تلحين
يحلو له في الطروس تدوين

فهو أيا أيها الفتى اعتبرِ بكل شيء يلوح للنظرِ
فمدمن البحث نائل الظفرِ ومهمل البحث يقتني الفشلا

أما رأيت الغراس تزدحم شبيهة بالأمواج تلتطم
فكان تفريقها به النعم

يريك هذا أن الفؤاد إذا أخصب في صبوة غراس منى
يعجزه أمرها فأفضل ما يحسن صنعاً تفريقه الأملا

إن كان ذاك الزحام يطّلب عهداً فينمو فيه ويتشعب
لولا اتساع المكان لا أرب

فهكذا كل مأمل سئلا يطلب عهداً لأجله بذلا[1]
لولا اتساع الزمان لا أملا للمرء أن يكتسي العلى حللا

وإن تر الغرس طالباً أبداً عزماً يحاكي السعير متقدا
فذا مثال ولا مراء بدا

فلا نجاح إلا إذا صرفا عزم لأمر عليه قد وقفا
وإن عرا بعض غفلة تلفا إن رمت نجحاً فأسهر المقلا

وإن رأيت الغراس ترتحل يملأ منها السهول والجبل
والخير منها للناس يتصل

فالمرء أولى بالسير في الأرض يوسع بعض الورى على البعض

(١) العهد يأتي للمكان وللزمان وقد ورد للامرين فتأمل

هذا سبيلٌ إلى المُنى يفضي | لا تأسَ لابنٍ تراهُ مرتحلا
وإن ترَ الدهرَ جاء بالمحنِ | فاهجرْ على الرشدِ موضعَ السكنِ

وحيثما طابَ موطنٌ فكنِ

الناسُ طرًّا للناسِ أخوانُ | والأرضُ طرًّا للسعيِ ميدانُ
فحيثُ يجري لليسرِ غدرانُ | أقِمْ ففيهِ يقيمُ من عقلا
وإن ترَ التوتَ عاشَ في القللِ | وما بهِ حاجةٌ إلى النهلِ

ليسَ كذي السهلِ طالبِ العللِ

فهوَ بيانٌ عن أنَّ في الشظفِ | إبجادَ حولٍ مناهضِ التلفِ
أمّا حياةُ الرخاءِ والترفِ | من عاشَ فيها وأقصيتَ ذبلا
لا تحسدنَّ الغنيَّ منتهيا | عن عملٍ باليسارِ مرتديا

وكنْ بعيشِ الكفافِ مرتضيا

سنَّ بديعُ الوجودِ بالحقِّ | بعرقِ الوجهِ موردُ الرزقِ
فهوَ على صحةِ الفتى يبقي | لا وهنٌ يشتكى ولا عللا
يا أيها المرءُ هذهِ عظتي | مملوءةً بالتنبيهِ عن مقةِ

أفقْ لها لا تكنْ على سِنةِ

من كان صوتُ النصيحِ يوقظهُ | كانت عيونُ التوفيقِ تلحظهُ
فلذَّ مثلَ الشهادِ ملفظهُ | وضاءَ ضوءَ الهلالِ ما فعلا

١٦

دود القز

وافى الربيعُ الزاهرُ الانوارِ كقــائدٍ في جيشهِ الجرَّارِ
فنهضت من نومِها الطبيعهْ نهوضَ ذاتِ الطلعةِ البديعهْ
وكيفما أجلتُ طرفَ الطَّرْفِ بدا الوُجودُ في أتمّ ظَرْفِ
فالسَّهلُ والجبالُ والأوديةُ بحُللِ الجمالِ مرتديةْ
نسيمُها ممتلئٌ عبيرا يملأ كلَّ مهجةٍ سرورا
والنَّورُ في غصونهِ تنمنما كالدُّرِ في سموطهِ تنظَّما
كأنَّما ذاكَ الوُجودُ أُمَّهْ أخرجَها النَّشاطُ من ملِمَّهْ
فطرحت سلاسلَ استعبادِ واتخذت حرّيَّةَ اجتهادِ
فكسَّرَت من محنةٍ قيودا والتمست من منَّةٍ مزيدا
وحيثُما الإنصافُ في الاحكامِ فالشَّعبُ في أمْنٍ وفي سلامِ
فمشرقُ الحياةِ عدلُ الحاكمِ وكفُّهُ أيدي ذوي المظالمِ
لتغدُوَ الأمَّةُ في ربيعِ من نعمةٍ وشرفٍ رفيعِ
وحيثُما الطَّرْفُ أُجيلَ لاحا دلائلٌ تؤكّدُ الإصلاحا
ولن ترى السَّعادةَ العميمهْ إلاَّ منَ الحكومةِ الحكيمهْ
مثلَ الرياضِ ما اكتسينَ حُللا الاَّ اذا فصلُ الزمانِ اعتدلا
وخلَعتْ ثوبَ الشتاء البالي ولبِستْ ثوبَ الربيعِ الحالي
فبرزت كربَّةِ الدَّلالِ بمطلعِ السُّعودِ والاقبالِ
وفاحتِ الأزهارُ في التلالِ وزهتِ الاشجارُ في الجبالِ

ما بينها التوتُ الذي ثناؤُهُ فرضٌ وإنْ يمتدحْ هواؤُهُ
لسانُ حالهِ الصَّدوقُ ذكرَا خذْ ما صفا مني ودعْ ماعكرَا
فيُغفرُ القايلُ مما ساء لدى عديدٍ فائقِ آلاء
وقد درى كلُّ صحيحِ العلمِ ان لا بناء قامَ دونَ هدْمِ
فلي أيادٍ برَّةٌ الايادي باليُمنِ والثَّراء والإسعادِ
منها أُلوفُ الناسِ لا بل أُممُ كلٌّ يسارٍ وهناء تغنمُ
هيهاتِ ما ركائزُ العقيانِ ومغطسُ اللؤلوء في سيلانِ
أوفى جدًا مني بما أسخو يدا فمعظمُ النعمةِ مني قد بدا
حتى سخاه النيلِ بالاقطانِ يقصرُ حدًا عن بلوغِ شاني
فانني أنا لباسٌ للملي والقطنُ ملبسُ الفقيرِ المُرملِ
فإن يكنْ بالقطنِ عزُّ مصرِ فانهُ بي عزُّ كلِّ مصرِ
ولم يكن من سالفِ العصورِ ملابسٌ أبهى منَ الحريرِ
وإنْ نشطتَ لإستماعِ خبري فهاكهُ بمسمعِ الحرِّ حري

. . . .

في غرفةٍ ضيقةِ الاطرافِ مظلمةٍ ذاتِ هواء دافي
أكياسُ بزرِ القزِ طرًّا جمعت والنارُ ليلاً ونهاراً أُولعتْ
فانقابَ ذا البزرُ دقيقاً جدًّا نظيرَ خيطٍ أبيضٍ قدمدَّا[1]
وبعضهُ أقبلَ إثرَ بعضِ فليستِ الأحداقُ عنهُ تغضي
وأحضروا حالاً طباقَ القصبِ تدوَّرت وطليت بالتربِ

(١) الانقياب هو ما تدعوهُ العامة تفقيسًا

وفُرِشت بورقِ التوتِ الطري مهرماً كشمرِ الصنوبرِ
فأخذَ الدودُ عليها ينتشرْ مثلَ حُليات بدَت على الزهرْ
وبالتهامِ ما لهُ أُعدّا من ورقٍ ينمو سريعاً جدّا
حتّى تراهُ في قليلِ زمنِ كرَشَّةٍ من السحابِ الهتِن
وكُلَّ يومٍ نقلوا أُلوفا الى طباقٍ نُظمت صفوفا
موضوعةٍ في مسكنٍ منيرِ جافي الهواء محكَمِ التدبيرِ
والبعضُ حيثُ يألف السواحلا شادَ لها من قصبٍ منازلا
حتى تُصيبَ موضعاً متَّسعاً فلا يُشكي الضيقُ منها ماسعى
لأنَّهُ ان كثُرَ الزحامُ ما بينها يدركُها الحمامُ
وفرَّقوا الجيوشَ كلَّ فئةِ مع مثلِها بلونِها والعزمةِ
وبعدَ ما الأوراقُ كانت تهرَمُ تُجنى وعقبَ غسلِها تقدَّمُ
ويُقبلُ الدودُ على الطعامِ ليلاً نهاراً هاجرَ المنامِ
وبعدَ أسبوعٍ يعافُ المأكلا فهوَ على أوراقهِ قد غفلا
وفوقهُ تُشاهدُ الأوراقا نظيفةً نُسِّقت انتساقا
حتّى اذا هبَّ منَ المنامِ بصحّةٍ في ثالثِ الأيامِ
أسرعَ في التهامهِ الطعاما لا يشتكي الكلالَ والسآما
وكلّما زاد نموًّا زادا طعامهُ وألِفَ السهادا
أربعُ مرّاتٍ لهُ فطامُ عن مأكلٍ وما بهِ سقامُ
بعدَئذٍ يواصلُ البروحا عن الطباقِ وهو يعلو الشيحا
أُعِدَّ في جوانبِ الأعمدةِ جميلَ منظرٍ ذكيَّ نفحةِ

كأنَّهُ السائحُ يعلو القللا ثابتَ قلبٍ لا يخافُ وَجلا
حتى اذا أطربَهُ المقرُّ يأخذُ من أحشائِهِ يجترُّ
خيطاً منَ الحريرِ ذا إحكام ورقةٍ في غايةِ الوسامِ
يجهدُ في إنشائهِ كمسكنِ فيغتدي لهُ نظيرَ مدفنِ
وحيثما كانَ الهوا نقياً كانَ النسيجُ جيداً بهياً
ومنهُ أبيضُ ومنهُ أصفرُ بقطعِ إبهامٍ وبعضٌ أكبرُ
هذا هوَ الفيلجةُ الثمينه لها العروشُ كلُّها مدينه
لأنها تهبها ملابسا فاخرةً تجاوزُ المقايسا

. . .

ياحُسنَ حلَّةٍ أتت سريسُ بها ونورُ وجهها أنيسُ
فألبستنيها وقالت يا ابني هذا ثوابي فاغتنمهُ مني
خدمتني فقد لبستَ العافيه بهيجةً مثلَ الثيابِ الضافيه
وكلَّ حاجاتِ الحياةِ نلتا من خدمتي أكرمْ بما صنعتا
فالبرُّ والثمارُ والملبوسُ والمسكنُ المرتَّبُ المأنوسُ
أُعطيتَهُ جوداً وفوقَ ذاكا أُعطيتَ نوراً يهزمُ الأحلاكا
أوليتُكَ النصيحةَ الحكيمه للسيرِ في المناهجِ القويمه
لكي تعيشَ ملكاً في الأرضِ بعزِّ شأنٍ وحياةِ خفضِ
أبلغْ بني أبيك عن إحساني ورفقِ نيري وذكا جناني
وأنني أُطيلُ في الأعمارِ وأنصحُهم ان يطرقوا دياري
للفوزِ في الحالِ وفي المآلِ فالغنمُ كلُّ الغنمِ في ظلالي

فهل سمعتم يابني سوريه مقال هذي الربة السريه
فإنه يشنف الاسماعا ومثلها أحق أن يطاعا
وفي اتباعها الغنى والجاه والأمن والفخار والرفاه
فإن يصب مقالها استحسانا ياقوم هبوا نشيء الجانا
نحيي موات الارض ذات النفع أجمعه بالغرس او بالزرع
ليس لسورية من بضاعه رابحة أجدى من الزراعه
وأرضنا سعتها رحيبه تولي المنى تربتها الخصيبه
أما كفانا غفلة والأمم تسعى وراء ما به التقدم
قد آن أن ننهض فالدستور ضاء لنا فانقشع الديجور
وانفسحت به ميادين العمل طرًا فلا عذر إذا دام الكسل
بدار فالحكيم يسرع القدم في سبل يرجو بها نيل النعم
وصفوة المقال ان الزرعا أدر أسباب المعاش ضرعا
فإن عطفنا نحوه اعتناء لا شك تضحي أرضنا سماء

تم الجزء الاول من

كتاب الارض في السماء

نطاق الزهرة

او

عدو في ثياب صديق

لم يُتفَق على تعيين الزمن الذي بهِ عُرِفَ المشدُّ بداءةً فذهب قومٌ الى ان السيدة ماري يرش اخترعتهُ سنة ١٨١٥ وذهبَ آخرون الى أنهُ قديمُ الزمنِ يتدرَّجُ الى عهدِ الرومانيينَ وهذا هو الأرجحُ

وقد كانَ للاقدمينَ اعتقادٌ بنطاقِ الزُّهرةِ ربةِ الجمالِ أنهُ يفتنُ الناظرينَ حتى وَرَدَ في الياذةِ هوميرسَ أنَّ هيرا ربةَ الزواجِ استعارتهُ منها فزادها جمالاً في عيني زوجها زفس كبيرِ الآلهةِ

وفي أسطورتي هذهِ زعمتُ أنَّ نطاقَ الزُّهرةِ هو المشدُّ وأنَّ ابتكارهُ جاء عن غايةٍ في نفسِ الزُّهرةِ مدفوعةً اليها بمكرِ ولدِها ايروس وتفصيلُ ذلكَ في ما يأتي :



باعث الخصام

اموري ورداح

بحر المتقارب * لازمة من شطرين ٠ ثم دور مؤلف من اربعة اشطر على رويٍ واحد ٠ فعودة الى اللازمة

محتويات القصيدة

صفات اموري اله الغرام — مرآة رداح — تزيه بهيأة غلام — اتباعه آثار رداح — خيبتهُ من محادثتها وعيدهُ لها

حكمها

بلوغ المنى بطلب اطراح الونى والثبات في المسعى — الأشرار يأتون بثياب الحملان وهم من داخل ذئاب خاطفة — للشرير مئة وجه جميل ولا قلب واحداً طاهر فكن دائماً على حذر منه — كم من بؤس تراه الأفكار العقيمة نعمة عظيمة — انتقام المظيم عظيم — ربما وقعت الاذية على الجمع العديد لتصيب النقمة هامة فرد وحيد

لازمة

اموري الفخور اله الغرام يرى حكمه عم كل الأنام (١)

دور

اذا ما أراد بلوغ منى يسير إليه بغير ونى
وسهل من عقبات العنا وكان له صبره مأمنا
وجرد عزمته كالحسام فما عاد الا أليف المرام (٢)

دور

أضاء عليه محيا صباح جلا النرجس الغض فوق الأقاح
فأصباه قد كلدن الرماح وهام فؤاداً بتلك الرداح
لذاك تخير زي غلام بهي الحداثة عذب الكلام (٣)

دور

وأم حدائق أزهارها يفيض المسرات معطارها

---

(١) اموري في اللغة الافرنسية وهو ايروس اليونان وكوبيدون الرومان ابن الزهرة كان يمثل صبياً او شاباً ملازماً امه ذا اجنحة ذهبية متقلداً القوس والمشعال وجعبته مملوءة سهاماً مسقاة بالنار والسم يرمي بها القلوب فتشتعل بنار الغرام (اساطير الاولين صفحة ٢٢٤) (٢) سهل من عقبات المنى عبارة فيها مجاز بزيادة حرف الجر كما في الآية يغفر لكم من ذنوبكم والعقبة المرقى الصعب من الجبال وعقبات العنا اي العنا كالعقبات كقول حسان لعدت وانت غربال الاهاب اي واهابك كغربال

(٣) الصباح الجميل . والرداح الفتاة الثقيلة الاوراك

وملءُ النواظرِ أنوارُها يَطوفُ معَ العامِ نُوَّارُها
فطافَ بها كلُّ غضٍّ قوامْ وكلُّ مهاةٍ كبدرِ التمامْ (١)

دور

وجاءت خريدتُنا في الأَصيلْ بقَدٍّ طويلٍ وخدٍّ أسيلْ
وثَغرٍ ضحوكٍ وطَرفٍ كَحيلْ تَميلُ مع الريحِ كُلَّ مَميلْ
تُريدُ ائتناساً بعَرفِ الثمامْ وإمعانَ رأيٍ بأمرٍ يرامْ (٢)

دور

فطافَ أموري بها والِها وحدَّثَها فَطِناً نابِها
ورامَ التَساؤُلَ عن آلِها فأوقَدَ جذوةَ بِلْبالِها
وصوَّبتِ اللحظَ مثلَ السِهامْ فعافَ البقاءَ بذاكَ المقامْ (٣)

دور

وحلَّت مكاناً بظلٍّ ظليلْ تُشاهِدُ وَجهَ السَماءِ الجميلْ
فعادَ اموري برأيٍ جليلْ وظَنَّ بذاكَ شِفاءَ الغَليلْ
ولمَّا أرادَ افتتاحَ الكلامْ قلَتهُ كمُقصًى بداءِ الجُذامْ (٤)

دور

---

(١) انوار جمع نَورة الزهرة البيضاء · والنُوَّار النَّور ومفاد قولي يطوف مع العام نُوَّارها اي نَورها دائم طول السنة · والمهاة البقرة الوحشية استعارة للحسناء لسمنها وجمالها وحسن عينيها (٢) الخريدة اللؤلؤة لم تثقب تستعار للعذراء الحسناء · الأَصيل الوقت بعد العصر الى المغرب · العَرف الريح الطيبة والثمام نبت طيب الرائحة (٣) الواله مَن اخذ منهُ الحب مأخذهُ · والجذوة الجمرة وعاف الشيء كرههُ (٤) الجُذام علة رديئة تنتشر في البدن كلهِ فيفسد مزاج الاعضاء وهيئتها وتحدث عجرٌ في الوجهِ غالباً ويتمرّط شعر الاجفان وينتهي الى تأكل الاعضاء وسقوطها من شدة التقرّح · ومآء دمشق يقاوم هذا الداء وللمصابين بهِ مكان في خارجها بقرب بابها المدعو الباب الشرقي يقيم فيهِ عددٌ من المجذومين

وعادَ الى مُلتقاهـا مِرارا فلم يجنِ مسعاهُ الاَّ خسارا

ولم تولهِ اللحظ الاَّ ازورارا فأَوقدَ ذلكَ في القلبِ نارا

وقالَ أَبيتِ حياةَ السَّلام فما بيننا بعدُ الاَّ الخِصام[١]

دور

أَيا مَن سَموتِ بحُسنٍ فريدِ وعاملتِني كأَذلِّ العبيدِ

وجُرتِ عليَّ بقلبٍ حديدِ إِذن سأُريكِ عذابَ الحديدِ

وأَحرِمُ عينيكِ طيبَ المنام وأَجعلُ جِسمكِ مَغنى السقَّام[٢]

دور

سأَثأَرُ من كلِّ ذاتِ قِلادَه أُريها اكتساءَ النُحولِ سعادَه

وأَنَّ الشقَّاءَ لُبابُ الرَّغادَه فيَبلُغُ قلبي الجريحُ مُرادَه

كذاكَ يكونُ انتِقامُ العظام شديداً الى أَن يُذيبَ العِظام[٣]

دور

انا ابنُ الخُلودِ أَشكو العذابْ لِهجرٍ رماني بهِ ابنُ الترابْ

لَعمريَ هذا أَشدُّ معابْ فأُقسِمُ أَني أُوالي العقابْ

يَصبُّ بلاءً كغيثٍ سِجام على كلِّ خَودٍ ممرَّ الدوام[٤]

---

(١) اولته اللحظ اي نظرت اليهِ (٢) الحديد معدن مشهور بالصلابة فيؤخذ استعارة الى الصلب ولهذا جاء في الشعر قلب حديد اي صلب كما يقال رجل اسد اي جريء . والمغنى المنزل الذي اقام بهِ اهلهُ (٣) القلادة ما جعل في العنق من الحلي . اللباب الخالص من كل شيء (٤) الخود المرأة الحسنة الخلق الشابة او الناعمة . وابن الخلود كناية عن انهُ اله . وابن التراب كناية عن البشرية وتسمية الفتاة ابن من باب التغليب كقولنا القمرين عن الشمس والقمر



تدبير المكيدة

اموري وفينيس وفولكان

الزهرة هي قبريس وعفرذيت اليونانيين وفينيس الرومانيين الاهة الجمال اوالاهة الحب . وعَلَى زعم هوميرس هي ابنة زفس من ذيونة . وعَلَى زعم هزيود انها ولدت من زبدة البحر . فولدت من زفس وولدت منه اغليا وتليا وافرزينا وقيثارية وبافوس ومن هرمس اله البلاغة هيرما فروديت . ومن باخوس برياب محافظ الحدائق وهيمان شفيع الزواج ومن الانسان يخس ولدها انياس جد الرومانيين الذي نظم عليه فرجيل شاعر الرومان الانياذه ومن آرس اله الحرب ايروس اي اموري . ويزعم الرومانيون انها كانت زوجة شرعية لفولكان الحدَّاد ابن زفس واما اليونانيون فيقولون ان زوجة فولكان هي خاريس فبين الميثولوجيتين اختلاف

وفولكان الرومانيين هو هيفست اليونانيين اله النار والحرارة ابن زفس من زوجته الشرعية هيرا كان أعرج قبيح المنظر لكنهُ كان حدَّاداً ماهراً وهو الذي صنع عروش الالهة وسلاح الجبابرة

بحر المديد . موشح على نمط موشح البابي الذي مطلعهُ

بأبي وبأبي وبأبي جرعة من ماء عين الذهبِ

محتويات الموشَّح

اموري يغش والدتهُ الزهرة فيثير غيظها عَلَى البشر — فينيس تسرع الى الانتقام فتطلب من فولكان عمل صاعقة تبيد الناس — فولكان يرهب العاقبة فلا يلبي طلب فينيس — احتيال فينيس عَلَى الانتقام من وجهٍ خفيٍ وتلبية فولكان طلبها — صنع فولكان المشدّ الذي هو الالة الانتقام

حِكَمٌ

الخبيث يتذرع بالكذاب لبلوغ الارآب — الاذن التي لا تنقد الكلام فتطرح زائفهُ . تجني عَلَى الرأس تعباً يشكو مخاوفهُ — من اصابته عصا صارمة . ياخذ حذره عَلَى الدوام من الوقوع في طائلة اللائمة — قصور اليد عن احتياز القصد بالقسر . يبعث النفس على ان تستخدم المكر — كم من مرأى بديع يستر البلاء الفظيع

لازمة

فَسَدَ الناسُ فصاروا ذِئابا وأَحَبُّوا خِدعةً ونِهابا[١]

فاُحذَرَنَّ الأَردياءَ اللِئاما انهم لا يرهَبونَ الأَثاما[٢]

لن يُبالوا ان أَرادوا انتِقاما أَصحيحاً نطقوا ام كِذابا

وضَلالاً نهجوا أم صَوابا

يُظهِرونَ البُطلَ حقاً مُبينا ومُبينَ المدحِ ذمّاً مُهينا

وتراهم لِلأذى عامِلينا لم يخافوا موقفاً وحِسابا

وسَعيراً يحتويهم مآبا[٣]

كأموري إذْ مضى بِاُحتيالِ نحوَ فينيسَ كمَن في خَبالِ

قالَ يا أُمّاهُ أتعسْ بحالٍ ستَّرينا ذِلَّةً واكتئابا

كلُّ شَهْدٍ قد تحوَّلَ صابا[٤]

زَفسُ أمسى ذا جوًى وتَصابٍ برَداحٍ من بَناتِ اُلتُّرابِ

قلبهُ من حُسنِها في اُلتِهابِ فأذيقيها لِذاكَ العَذابا

وأعيديها سَريعاً تُرابا[٥]

---

(١) جمع نهب وزمن النهب اي زمن الغلبة على المال (٢) الإثم

(٣) سعيراً اي ناراً والمراد جهنم من باب تسمية الشيء باسم الحال فيه ومثالهُ قول البشير متى تمّ فتحوا كنوزهم اي صناديقهم (٤) الخبال الاضطراب كالجنون. والصاب عصارة شجرمر او عصارة الصبر (٥) زفس اليونانيين اسم كبير الالهة يفسرونهُ بالمحيي او الهواء الاعلى — المشتري — وهو جوبيتر الرومانيين كان زوج شقيقته هيرا ولكنه احب كثيرات من الالهات وبشريات فتزوج ديميتير الاهة الزراعة وسواها كذيونة وسميلا امذيون اي باخوس اله السكر والانسانة القميننا ام هرقل البطل الشهير والانسانة دنيا بنت اكريس ام فرستس احد مشاهير الرجال . فتيمة اموري غير بعيدة الوقوع ولذلك وثقت بها قبريس كما سيأتي

إحذري من أن تُسيء اليكِ إذ ترجّي أن تسودَ عليكِ
ما لديكِ ان تفزْ ما لديكِ نحنُ نُسي يا فنيسُ هبابا
حيثُ زفسٌ بهواها تصابى[1]

فاستشاطت تلكَ غيظاً شديدا ثم فاهت نقمةً ووعيدا
ليتَ شعري هل تشا ان تسودا بنتُ حوّا عرشَ ملكي العجابا
ثمَّ لا تجني لذاكَ عقابا[2]

ودعت فلكان ربَّ البوارقْ سألتهُ صنعَ أقوى الصواعقْ
قالَ رفقاً انا أخشى الطوارقْ إن أغظْ زفساً رمى بي شهابا
فأرى زندي كرجلي مصابا[3]

أنتِ لا تخشينَ سوءَ العواقبْ حيثُ درعُ الحسنِ تقصي المعاطبْ
ثمَّ أمسي أنا رهنَ المصائبْ كم مسيءٍ عملاً لن يصابا
وصحيبٍ معهُ ذاقَ العقابا[4]

فجرتْ غيثاً دموعُ فنيسِ وأموري بات رهنَ البؤوسِ
قالَ وا تعسي فنيصُ الرموسِ سوفَ يغدو مستطيلاً غلابا

---

(١) الحباب الحباء (٢) تجني من جنت الثمرة اي قطفتها

(٣) رمى بي شهابا اي رماني بشهاب من باب القلب كما قال مجنون ليلى «يضم الي الليل اطفال حبها. كما ضم ازرار القميص البنائق» . والبنائق لبنات القميص والاصل ان الزر يضم البنيقة . وفي الكلام اشارة الى حادث وقع بين زفس وهيفست زعم هوميروس ان زفس وهيرا زوجته اختلفا فانتصر هيفست لامه فرماه زفس من السماء فكسر رجله وصار اعرج . وفي رواية اخرى انه خجل به لانه ولد دميماً فرفسه برجله فسقط على امواج البحر

(٤) تقصي تبعد

بِاعتزازٍ حينَ رُمتُ الحِرابا [١]

وارتأت فِيتِيسُ إنشاءَ حيلَهْ ... رُبَّ حيلةٍ تُساوي قَبيلَهْ

ثُمَّ قالت بالخُصورِ النَحيلَهْ ... كلُّ خَودٍ قلبُها يَتَصابى

وبِهِ أَحوي المُرجّى ارتِغابا [٢]

سألتْ فلكانَ أمراً زهيدا ... لم يجدْ عن أن يُجيبَ محيدا

فلذا لبّى وأنشا مُجيدا ... فأتى ما سألتهُ لُبابا

وحَباهُ شُكرَها المُستطابا [٣]

قد رَجَتهُ صنعَ ذاكَ المِشَدِّ ... لِيَهُدَّ الجِسمَ أغربَ هَدِّ

تَشتَهِيهِ كلُّ ربّةِ نَهدِ ... وَهوَ كالصِلِّ يسيلُ لُعابا

ليسَ يُبقِي صِحّةً او شَبابا

أَخَذَتْ فِيتِيسُ ذاكَ الصَنيعا ... طَوَّقَت بِهِ الحَشا والضُلوعا

فَحَبا الخَصرَينِ مَرأى بَديعا ... فلها ثَغرٌ يُحاكي الحَبابا

ظلَّ يَشدو إنَّ سَهمي أصابا [٤]

سوفَ أدعو ذا المِشَدَّ المُضِرّا ... بينَ أضلاعِ المَها مُستقِرّا

فرَداحٌ منهُ تَلقى الأمَرّا ... وبهِ لا شكَّ مَسعايَ ثابا

رابِحاً والفوزُ لِلقلبِ طابا [٥]

---

(١) الغيث المطر · البؤوس سوء الحالة · والرمس القبر · وقنيص الرموس كناية عن الانسان والمراد رداح · والغلاب والحراب مصدرا غالب وحارب

(٢) الارتغاب الرغبة (٣) اللباب المختار الخالص من كل شيء · وحباهُ اعطاه (٤) الصنيع المصنوع · والحباب فقاقيع الماء · وسهمي اصاب اي دهائي فاز

(٥) المها جمع مهاة · ثاب رجع

منهُ تُمنى كلُّ خودٍ بعلّهْ تكتسيها دائماً مثل حلّهْ
والضنى ما زال أعظمَ مثْلهْ هوَ ذئبٌ ظلَّ ينشبُ نابا

يبعثُ الآلامَ تذكو التهابا[1]

✻ ٣ ✻

نصبُ الفخ

فينيس واموري في الملعب

بحر الخفيف كل دور فيه ستة اشطر على رويين يتغيران ثم يليها شطر روية ثابت

محتويات القصيدة

لماذا وُجد الانسان — لماذا انشئت الملاعب — لماذا تغير الغرض من الملاعب والروايات — تمثيل رواية مفيدة — حضور الشعب مشاهدها — مجيء فينيس واموري الى الملعب — اعجاب الناس بفينيس — محادثة رداح واموري عتاباً في الملعب واجتماعهما على انفراد — استيضاح رداح عن امر المشهد — حصولها عليه

حِكَمُها

وُجِدَ الانسان لعمار الدار الفانية ولنيل سعادة الدار الباقية — شُيِّدَت الملاعب · لتلقين شريف المناقب · والضرب على خسيس الرغائب — اماني العذارى ترك الرجال حيارى — للوسامة تجلّة واكرام · كتجلّة الملك الهمام — الكواعب لهنَّ مكر الثعالب — دموع المرأة امضى سلاح تنفذه في قلب الرجل — في سبيل الجمال الكاذب الغرّار تباع بيعَ السماح نفائسُ الاعمار

وُجدَ المرءُ كي يعمّرَ دُنيا ويَنال الثوابَ في أُخراهُ
لا ليَحيا يحكي بهائمَ دُنيا مُستزيداً من لهوهِ وهواهُ
غيرَ أنَّ النفوسَ تسأمُ سَعيا كلُّ من عاشَ لا يرى منتهاهُ

(١) المثلة التنكيل · وانشب نابه علّق نابه

والدفع السآم شادوا الملاعب [(١)]

ولقد كانت الملاعب دورا تجمع الناس من غني وبائس
مبديات للحاضرين أمورا سرها المجد في اجتناب الخسائس
فاطرحوا ما يكون أمرا حقيرا واصرفوا العمر في التماس النفائس

واثبتوا فالثبات يولي الرغائب [(٢)]

إعلموا إنما الحياة سبيل مستطيل ما زال ذا شعبين
منهما واحد كريم نبيل ويليه ثان لسوء وشين
من تنقى الكريم فهو جليل وأخو السوء قد خلا من زين

فهو أنموذج لجمع المعايب

ثم أنسى الزمان أهل الزمان حكمة الوضع للأصول القويمه
فرأوا في المجون أشهى المجاني وأكبوا على المبادي الذميمه
وتولى الضلال تلك المغاني فرأت هجرها النفوس الكريمه

خشية من حصول شر العواقب [(٣)]

رب يوم قالوا يمثل سر من دواعي ارتقاء أهل الفضيله
فيه يسمو من زان محياه بر وعكوف على المساعي الجليله
ويجازى بالهون عضو مضر يحسب المنكرات تروي غليله

---

(١) الثواب مطلق الجزاء على الاعمال خيراً او شراً ، واكثر استعماله في ثواب الآخرة كما هو هنا (٢) البائس الفقير . واصرفوا انفقوا (٣) القويم المعتدل . والمجون الهزل . والمغاني جمع مغنى وهو المنزل الذي غني به اهله ثم استعمل للموضع أيا كان

ويذوقُ الصغارَ خِبٌّ موارِبْ(١)

فأتى المَلْعَبَ الجماهيرُ تَتْرى — من كُهولٍ وفتيةٍ وعذارى
كلُّ رُؤْدٍ من الشبيبةِ سكرى — لَحظُها في القلوبِ يُوقِدُ نارا
قد جلَتْ فوقَ قامةِ الغُصنِ بدرا — تتمنّى تركَ الجموعِ حيارى

ان هذا ما تشتهيهِ الكواعِبْ(٢)

نُظِمَ الشملُ مثلَ نظمِ العُقودِ — من نفيسِ الياقوتِ والمَرْجانِ
غانياتٌ كُسِينَ أبهى البُرودِ — هي مثلُ الأوراقِ للأغصانِ
وادارَ السُّلافَ حُمرُ خُدودٍ — دون جاماتها سُلافُ الحانِ

فغدا كلُّ حاضرٍ كالغائِبْ(٣)

ثمَّ جاءت صبيّةٌ وغلامُ — كلُّ مَن شاهدَ الصبيّةَ هاما
ظَلَموها إن قيلَ بدرٌ تمامُ — وَجهُها البازغُ الضياءَ ابتساما
ولهذا لها الجموعُ قيامُ — وأشاروا بأن تحلَّ أماما

اذ سباهم ذاكَ الجمالُ السالِبْ

ورأتها رَداحُ ذاتَ قوامِ — مُخجِلٍ عِطفُهُ غصونَ البانِ
رَبّةَ خصرٍ كدارةِ الخاتامِ — تحتَ نهدَينِ من جنى الرُّمّانِ

---

(١) المحيا الحياة · والعكوف المواظبة · والهون الخزي · والغليل العطش · والصغار الذل · الخب الخداع · الموارب المخاتل (٢) الرؤد الشابة الحسنة · الكواعب جمع كاعب وهي الجارية كعب ثدياها اي برزا في صدرها في الدور الاول من نموها فتكون حينئذ في مستهل شبيبتها (٣) الغانية الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة · والسلاف الخمرة والمراد بالسلاف هنا النشوة التي ترد عن الخمرة فهو من باب ذكر الشيء باسم فاعلهِ · والجام الكاس

فرأت أن ذاكَ كلُّ الوسامِ وهوَ من صُنعِ إصبعِ الإنسانِ

فاشتهت ذلكَ الوسامَ الكاذبْ (١)

وادارت لحظًا بن صحبتهُ من أثارتْ نارًا بكلِّ جنانِ

فلجدِّ النصيبِ قد وجدتهُ ذا الهوى في جمالها الفتّانِ

فتراءى مستسهلاً ما اشتهتهُ وانبرتْ تبتغي بلوغَ الأماني

والعذارى يعرفنَ مكرَ الثعالبْ (٢)

وضعتَ كفّها على منكبيهِ وجلَت بالسرورِ عقدَي جُمانِ

ثمَّ ألقت بالسرِّ في أذنيهِ كلماتٍ يُسكرنَ سكرَ الدِنانِ

وهيَ تبدي دلَّ الحبيب عليهِ حينَ قالت هجرتني لا تراني

مذرياً مقلتي نظيرَ السحائبْ (٣)

عيّنوا الملتقى وكانَ اللقاءُ فأداروا من الحديثِ مُداما

إثرَ ذاكَ العتابِ تمَّ الولاءُ بعهودٍ قد أُبرمت إبراما

سألتهُ من تلكمُ الحسناءُ قال أُختي فهل جنيتُ أثاما

إنْ أسِرْ مع شقيقتي في المواكبْ (٤)

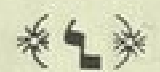
وتوالى الحديثُ إثرَ الحديثِ فتراءى كلٌّ يحبُّ رفيقهْ

سألتهُ بأناةِ المستغيثِ أيُّ سرٍّ في خصرِ تلكَ الشقيقهْ

(١) العطف من كل شيء جانبه · الخاتام الخاتم · الجنى الثمر (٢) الجنان القلب · الجد الحظ · ابت اعترضت (٣) اراد بعقدي الجمان سمطي اسنانها · وسكر الدنان اي سكر الخمر من باب ذكر الشيء باسم مكانه · ومذرياً ساكباً ومقلتي اي دمعي من باب ذكر الشيء باسم فاعله (٤) الموكب الفرقة من الجماعة ركباناً او مشاة · قال اموري عن امه انها اخته لان قوله عنها انها اخته اقرب للهيئة التي كانا قد ظهرا فيها

وجرى فيضُ دمعها كغيوثٍ وهوأمضى السلاحِ عندَ الحقيقه
إذ رأَتهُ كالطَّودِ ليسَ يجاوبْ (١)

وجلا السرَّ بعدَ مرِّ امتناعِ وأتاها بمثلِ ذاكَ النطاقِ
لبستهُ فخرَّ في الأضلاعِ فبهِ الروحُ في أعالي التَّراقي
فاستمدَّت صبراً على الأوجاعِ أملاً أن تَسبي حشا العشَّاقِ
فتحذرْ مما تودُّ الربارِبْ (٢)



نجاح المكيدة

ردّاح في الآلام

بحر السريع * مخمس

محتويات القصيدة

ماجناه المشد على رداح — ثمانية اموري بها — حكم

حكمها

الناس في الدنيا جنود في دارجهاد ولاسلاح لهم الا الرشاد — حذار والاغترار بحيل الاشرار — الرأي الصائب كالشهاب الثاقب — من سعى في مالا يعلم عاد بالمغرم بدلاً من المغنم كم مظهرشائق تحته بلاء ماحق — لا يصرح العدو الماكر بمرمى مسعاه الا بعد ان يفوز بادراك مناه — حقيقة الجمال . حسن الخلال وكرم الاعمال

(١) تراءى اي ارى كل واحد الاخر . الطود الجبل

(٢) التراقي اعالي الصدر حيثما يترقى فيها النفس . الربرب القطيع من بقر الوحش و يطلق على ذوات المحاسن

يا قومُ هذي الدارُ دارُ الجهادْ وكُلُّ مَن فيها استطابَ الكِيادْ

وكُلُّ من عن منهجِ الحقِ حادْ فرَت حشاهُ المرهفاتُ الحِدادْ

وألبسَ الأهلَ ثِيابَ الحِدادْ (١)

لا تغترِرْ بمظهرٍ أو حديثْ فالمكرُ عادِيٌّ بها لا حديثْ

كم من مُرَجًّى ان يكونَ المُغيثْ رَماكَ عن قوسِ دهاءٍ خبيثْ

وعندهُ بؤسُكَ أشهى مُرادْ (٢)

فاصطفِ رأياً ثاقباً كالشهابْ يهديكَ ان نهجتَ سبلَ الصوابْ

تَنجُ بهِ من كلِّ ظفرٍ ونابْ لِشرِّ خصمٍ في لُبوسِ الصِحابْ

لو قدَروا أذْرَوا عليكَ الرَمادْ (٣)

واحذرْ من انتهاجِ ما تجهلُ لعلَّهُ الى الردى يُوصِلُ

كم من فتىً يجهلُ ما يعملُ قادتْهُ نحوَ رَمْسِهِ الأرجلُ

فباتَ في جِوارِ طَسْمٍ وعادْ (٤)

وانظرْ الى الباطنِ لا الظاهرِ تُبعدْ خُطًى عن منهجٍ عاثرِ

كم شائقٍ بمظهرٍ فاخرٍ يَرسُفُ في قيدِ أذًى جائرِ

---

(١) الكياد جمع كيد وهو المكر والخبث والحيلة والحرب · وفرى قطع وشق · والمرهف السيف المرقق الحد · والحداد جمع حديد اي ماض · وثياب الحداد ثياب المأتم السود (٢) العادي المنسوب الى قوم عاد كناية عن قِدَمهِ · والبوس الضرر (٣) الظفر والناب اداتان للاذية والمراد الاذية من باب ذكر الشيء باسم آلته ولبوس جمع لبس وهو ما يلبس · واذرى الق والقاه الرماد وبالتالي التراب كناية عن منتهى الاهانة او عن الدفن (٤) طسم وعاد امتان بائدتان وبات في جوار طسم وعاد كناية عن الموت

حرَّمَ عينيهِ لذيذَ الرُّقادْ .(١)

خُذْ عِبرةً بما جناهُ النِّطاقْ تَسلَمْ من البُؤسِ المَرير المَذاقْ

قد كلَّفَتْ رَداحُ ما لا يُطاقْ منهُ كعبدٍ ما لهُ من عَتاقْ

من رقِّهِ حتى حلولِ المَعادْ .(٢)

قد سرَّها الخصرُ النحيلُ استدارْ وبرزَ النَّهدانِ مِلءَ الإزارْ

ظنَّتْ بهِ مُلْكَ البَهاءِ النُّضارْ وجهِلتْ ما جلَبتْ من مَضارْ

وألَمٍ ما انفكَّ واري الزِّنادْ .(٣)

أذبلتِ الآلامُ وردَ الخدودْ وعبثَ السقْمُ بتلكَ النُّهودْ

وأوهنَ الأضلاعَ ثِقلُ القيودْ وكُلُّ عضوٍ باتَ رَهنَ الخُمودْ

يشكو الذي عرا لِربِّ العبادْ .(٤)

الجِسمُ يَشكو من دمٍ قد قَفْرا والدمُ يشكو المَسلكَ الوَعْرا

والرأسُ يشكو الطرفَ لا يكرى وباتَ حلوُ الطعْمِ لا يُمرا

لله من تلكَ الرزايا الشِّدادْ .(٥)

---

(١) شائق بمعنى مشوق كما يقال انف راغم اي مرغوم وشاقه الشيء اعجبه

(٢) العبرة العظة (٣) ملء الازار كناية عن الامتلاء والبروز . الازار كل ما ستَرك والمراد هنا ما يوضع على الصدر فقط . والبهاء الجمال . والنضار الخالص من كل شيء والزناد جمع زند وهو العود الذي تقتدح به النار (٤) ورد الخدود اي الخدود كالورد من باب التشبيه المؤكد باضافة المشبه به الى المشبه كقول الحكيم سليمان الملك « الشرير تأخذه آثامه وبحبال خطيته يمسك » اي بخطيته كالحبال . وعراه اصابهُ

(٥) الدم يشكو المسلك الوعر كناية عن عدام انتظام الحركة الدموية . ولا يكرى لا ينام . والطعم ما يشتهي من الطعام . الرزايا المصايب

والقلبُ باتَ أبدًا يخفِقُ ومن أقلّ تعب يُرهَقُ
بل تشتكي العياء اذ تنطِقُ تكادُ في مسيرِها تُخنَقُ
إنْ قصدت سيرًا بغيرِ الجوادْ (١)

لمَّا تولَّاها البلاءُ الشديدْ رأت أموري مثلَ خصمٍ عنيدْ
يَقولُ يا ذاتَ الفؤادِ الحديدْ ذوقي ولاشكوى عذابَ الحديدْ
فهوَ الذي أولى أماني الفؤادْ (٢)

إنَّ انتقامي سيَعمُّ الحِسانْ من يتباهينَ برأى حُسانْ
يجهلنَ أنَّ الحسنَ حسنُ الجَنانْ وحِليةُ الفطنةِ تسمو الجُمانْ
وكنزُها لا يعتريهِ نفادْ (٣)

أردتِ أن تُماثِلي ربَّةً لِتملإِي كلَّ حشًا كُربةً
فاستوردي عن خطَلٍ نكبةً فكلُّ من لم تلتمسْ حكْمةً
خطوتُها تُسرِعُ نحوَ الرُّقادْ

إنَّ نطاقَ الزُّهرةِ المُشتهى عندَ اللواتي زانهنَّ النُّهى
هوَ احتفاظٌ بصحيحِ البَها وسيرُ سُبْلٍ كرُمتْ منتهى
فما سِوى ذلِكَ لا يُستجادْ

. . .

أيتُها الغادةُ انَّ الجَمالْ قلبٌ نقيٌّ وحميدُ الخِلالْ
وسيرةٌ مزينةٌ بالكمالْ وخِدمةُ البيتِ وصِدقُ المَقالْ

---

(١) الارهاق الحمل عَلَى ما لا طاقة عليهِ . والجواد جمع جادّة وهي الطريق السهلة
(٢) الفوءاد الحديد اي القاسي (٣) الحسان الجميل

فإنَّ ذي سِماتُ أهلِ الرَّشادْ (١)

أيتها العذراءُ حُسنُ الفتاه خُلقٌ دَميثٌ كعبيرٍ شذاهْ

وطاعةُ الأُمِّ وحفظُ الشفاه من قولِ سوءٍ وجزيلُ انتباهْ

وحبُّ توفيرٍ وبِيضُ الأيادْ (٢)

أيتها الزوجةُ حُسنُ العروبْ مسلكُ فضلٍ سالمٍ من عيوبْ

وخدمةُ المنزلِ حتى الغروبْ ومنطقٌ حلوٌ كشهدٍ يذوبْ

وهجرُ تبذيرٍ وصدقُ الودادْ (٣)

والحُسنُ كلُّ الحُسنِ في الأمهاتْ صلاحُ قلبٍ هوَ خيرُ الصفاتْ

والاعتناءُ بالفتى والبناتْ وسيرةٌ مُثلى ووضعُ العظاتْ

هاديةً الى سبيلِ السدادْ (٤)

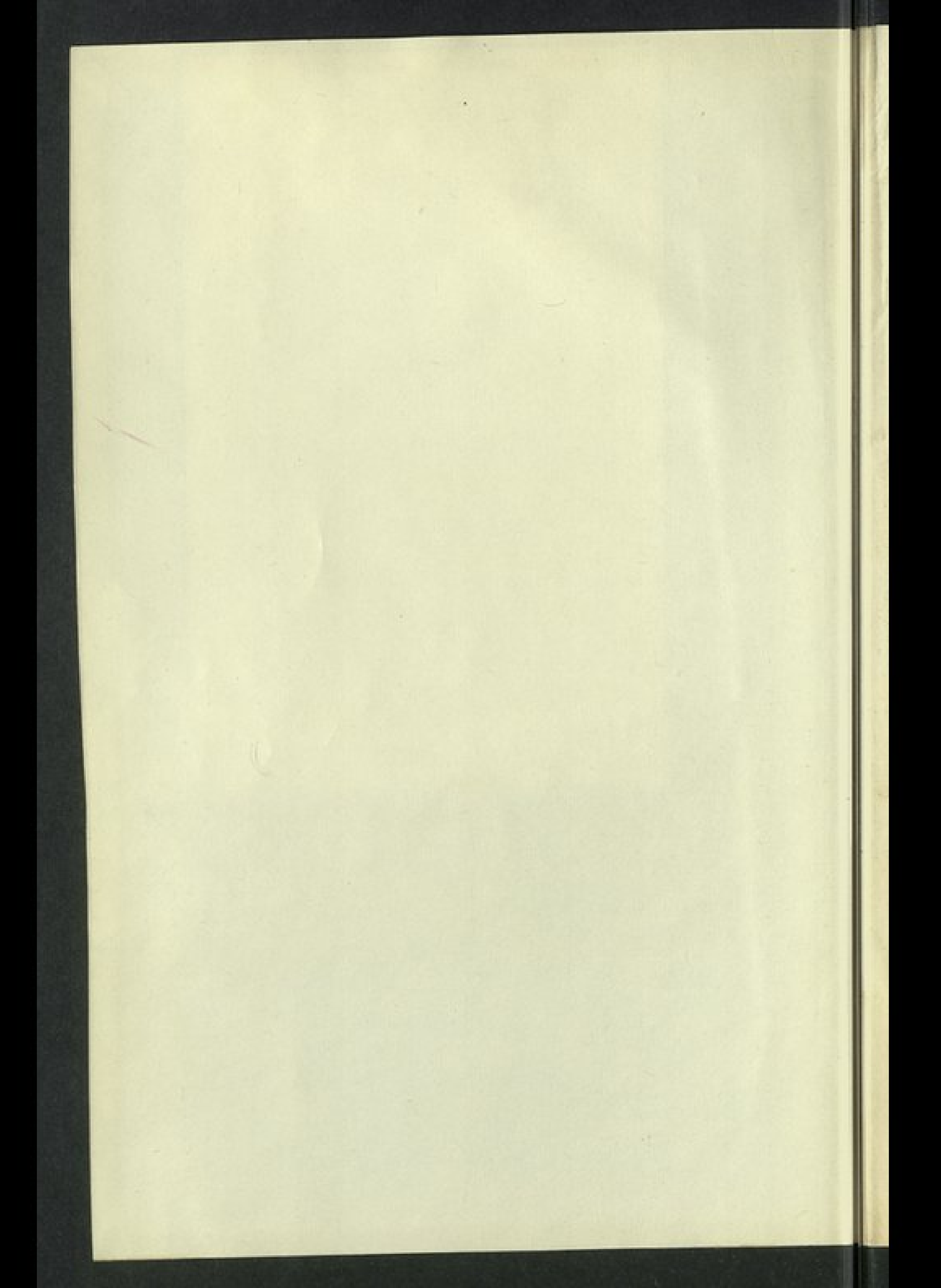
الكونُ مبروءٌ لحُسنِ العملْ لا للأباطيلِ ومسعى الخطلْ

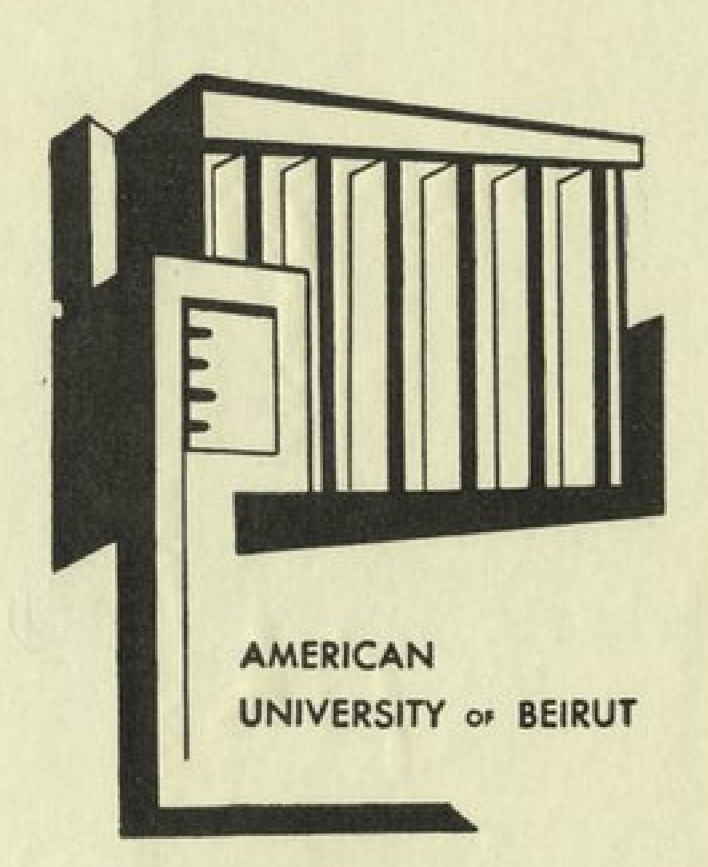
ومَن تبغَّاها برأيٍ أضلّْ أذاقهُ الضلالُ مرَّ العِللْ

واقتادهُ للقبرِ شرَّ اقتيادْ (٥)



(١) السمة العلامة (٢) بيض الاياد اي الايادي البيضاء التي هي الاعمال المشكورة (٣) العروب المرأة المتزوجة او التي تحبُّ زوجها . وخدمة المنزل حتى الغروب كناية عن بذل النهار كله في البيت (٤) السيرة المثلى الجليلة (٥) مسعى الخطل اي مسعى الحمق وتبغَّاها طلبها




AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

